المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الريـــاض - حـــي سلطـانة

تفريغ شرح كتاب

تحفة الأخيـار

ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار

العلامة عبدالعزيز بن باز - المتوفى سنة ١٤٢٠ هـ - رحمه الله

للشيخ:

د. أحمد بن حمد الونيس

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

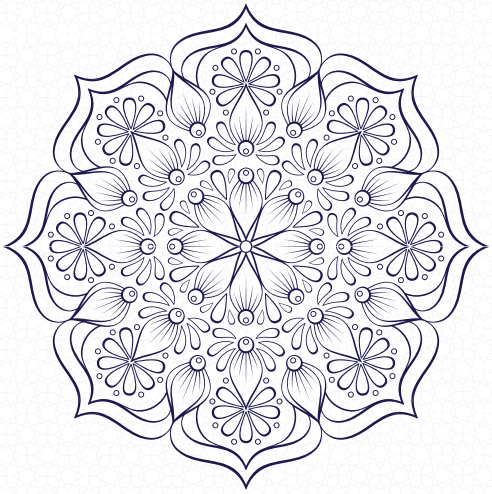

تفريغ شرح كتاب

تحفة الأخيار

للعلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

للشيخ

د. أحمد بن حمد الونيس

بسم الله الرحمن الرحيم

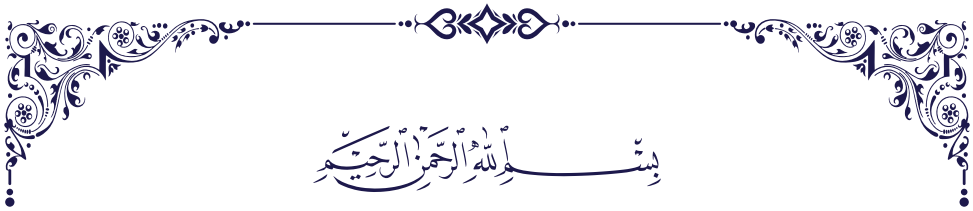

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فإن من أفضل ما يتخلق به الإنسان وينطق به اللسان الإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتسبيحه وتحميده وتلاوة كتابه العظيم والصلاة والسلام على رسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه-، مع الإكثار من دعاء الله سبحانه وسؤاله جميع الحاجات الدينية والدنيوية، والاستعانة به والالتجاء إليه بإيمان صادق وإخلاص وخضوع وحضور قلب يستحضر به الذاكرُ والداعي عظمة الله وقدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء، واستحقاقه للعبادة.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مُضل له، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَاديَ لهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد، فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقني وإياكم علمًا نافعًا وعملًا صالحًا.

نتدارس هذه الرسالة النافعة المباركة لسماحة شيخنا العلامة الإمام عبدالعزيز ابن باز -رحمه الله تعالى رحمةً واسعة- المتوفى في شهر الله المحرم سنة ألفٍ وأربعمائة وعشرين للهجرة، وهي رسالة مهمةٌ لكل مسلمٍ ومسلمة لما اشتملت عليه مما يحتاجه المرء في يومه وليلته من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ودعائه.

وقد قدم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين يدي ذكر فصول هذه الرسالة بجملة من الآيات والأحاديث الدالة على فضل الذكر والدعاء، وفي هذه المقدمة التي سمعتم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتحميده وتسبيحه ونحو ذلك هو من أفضل الأعمال القولية، ولهذا استدلَّ على فضل الذكر بعدة أدلة من الكتاب والسنة كما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ اجتمع فيه الفضل العظيم، مع سهولته، فلا يصعب على الكبير ولا على الصغير ولا على المريض ولا على الصحيح ولا على الرجل ولا على المرأة، لا يحتاج منك إلا أن تحرك لسانك وشفتيك، ومع سهولته وفضله العظيم إلا أنه لا يوفق للإكثار منه إلا من وفقه الله.

ولهذا تجد كثيرا منا قد غفلوا عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ مع سهولته، تمضي علينا الأوقات والساعات واللحظات ولا يذكر الواحد منا ربه، مع أن الذكر من أيسر ما يكون ومن أعظم ما يكون فيه الثواب.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا في هذه المقدمة أن من أفضل الذكر تلاوة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، بل قراءة القرآن هي أفضل ما يذكر الله عَزَّوَجَلَّ به بعد الصلاة، ولهذا رتَّب العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في كتابه الوابل الصيب أعظم ما يذكر الله عَزَّوَجَلَّ به:

الصلاة ثم قراءة القرآن ثم الذكر الذي هو الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ بالتسبيح والتحميد والتهليل ونحوه ثم في المرتبة الرابعة الدعاء.

يعني لو قيل لك ما أفضل ما يذكر الله عَزَّوَجَلَّ به ماذا تقول؟ الصلاة؛ لأن الصلاة قد اشتملت على المراتب الأخرى كلها، فيها القرآن وفيها الذكر وفيها الدعاء، ثم بعد ذلك القرآن، ثم بعد ذلك الذكر، ثم بعد ذلك الدعاء.

ذكر الشيخ أيضا في هذه المقدمة أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يُلجأ إليه في السؤال، سؤال الحاجات الدينية والحاجات الدنيوية، وذلك أن سؤال الله عَزَّوَجَلَّ عبادة، كما سيأتي معنا أن الدعاء هو العبادة، والعبد مفتقر إلى ربه جَلَّوَعَلَا في كل أموره؛ فلهذا ينبغي له أن يراعي ذلك وأن يلجأ إلى ربه جَلَّوَعَلَا بدعائه وأن يكثر من ذكره سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ذكر الشيخ أيضا في هذه المقدمة حضور القلب عند الذكر والدعاء وهذا أمر في غاية الأهمية فإن الذكر إذا كان باللسان فقط فإن أجره أقل مما لو تواطأ عليه القلب واللسان، ولهذا فإن **العلماء يقسمون الذكر إلى أنواع**:

النوع الأول: الذكر بالقلب واللسان وهذا أكمل أنواع الذكر.

والنوع الثاني: الذكر بالقلب وحده.

والنوع الثالث الذكر باللسان وحده.

وهي مُرتّبة في الأفضلية على هذا، أفضلها الذكر بالقلب واللسان، ثم الذكر بالقلب فقط، ثم الذكر باللسان فقط.

لكن ما معنى الذكر بالقلب واللسان؟ يعني أنك إذا ذكرت الله عَزَّوَجَلَّ تستحضر معاني ما تذكر الله جَلَّوَعَلَا به، وأنك تتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بهذا، فإن هذا مما يزيد في الإيمان.

وهذا يستلزم أن تكون عالمًا بمعاني الذكر، ولعلنا في هذه المجالس -إن شاء الله تعالى- كلما يمر بنا ذكر أو دعاء نعرج على شيء من معناه.

مثلاً، ما معنى سبحان الله؟

لو تسأل كثيرا من العامة الذين يقولون سبحان الله ما معنى سبحان الله قد لا يعرفونه، معنى سبحان الله أي: أُنزّه الله عن كل نقص وعن كل ما لا يليق به جَلَّ وَعَلَا، سبحان الله معناها تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص وعيب.

الحمد لله ما معناها؟

الحمد وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالكمال محبةً له وتعظيمًا.

لا إله إلا الله معناها كما هو معلوم: لا معبود بحق إلا الله، إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

ما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله؟ أي: لا تحول لي من حال إلى حال إلا بالله عَزَّوَجَلَّ وقوته وإعانته ففيها معنى الاستعانة بالله جَلَّ وَعَلَا.

ما معنى اللهم صلّ على محمد وسلم؟

اللهم صلّ على محمد أي: اللهم أثنِ على محمد ﷺ في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين. وسلم: أي سلمه من كل نقص وعيب.

وبقية الأذكار ينبغي لنا أن نستحضر المعاني، فحينئذ نذكر الله جَلَّ وَعَلَا بألسنتنا وبقلوبنا، وأما الذكر بالقلب وحده بغير نطق اللسان فهذا في المرتبة الثانية كما قرر ذلك النووي وابن القيم، وإن كان فيها خلاف، لكن يقولون: إن الذكر بالقلب أفضل من الذكر باللسان وحده؛ وذلك أن الذكر بالقلب يثمر الإيمان وزيادة الإيمان، بخلاف الذكر باللسان المجرد وإن كان فيه خير وفيه فضل لكنه لا يثمر زيادة الإيمان.

قبل أن ندخل في كلام الشيخ وما ذكر من الآيات والأحاديث لعله يقدم بعض المسائل التي لها تعلق بالذكر والدعاء.

المسألة الأولى في تعريف الذكر، الذكر في الاصطلاح له معنيان، معنى عام ومعنى خاص.

أما الذكر بمعناه العام فيشمل كل ما يُقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، سواء أكان بالقلب أو باللسان أو بالجوارح.

فالذكر بالقلب يدخل فيه كل عمل قلبي يقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فيدخل في ذلك التفكر في عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل في ذلك استحضار عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القلب، ويدخل فيه الأعمال القلبية كالتوكل والمحبة والخوف من الله عَزَّوَجَلَّ وغير ذلك، كل هذا ذكر لله عَزَّوَجَلَّ بالقلب.

وأما الذكر باللسان فهو كل قول يقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فيدخل في ذلك قراءة القرآن الكريم، ويدخل في ذلك تعليم العلم، والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخل في ذلك أيضاً الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ بالتسبيح والتحميد، ويدخل في ذلك الدعاء.

وأما الذكر بالجوارح فهو كل عمل يقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فيدخل في ذلك جميع الأعمال كالصلاة والحج وغير ذلك.

إذن إذا استحضرت هذا المعنى أن الذكر بمعناه العام تدخل فيه كل العبادات، عبادة بالقلب وعبادة باللسان وعبادة بالجوارح هذا يُسمَّى ذكرا بالمعنى العام، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] يعني ذكر الله بالصلاة فوصف الصلاة بأنها ذكر وقال جَلَّوَعَلَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] يعني إلى الخطبة وإلى الصلاة.

أما الذكر بمعناه الخاص فهو الثناء على الله تعالى بتحميده وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك هذا الذكر بالمعنى الخاص يُقتصر فيه على الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحوقلة، كل هذا من الذكر بالمعنى الخاص، وكثيرا ما يقرن العلماء بين الذكر والدعاء، كما في هذه الرسالة وفي أمثالها فإذا قُرن الذكر بالدعاء ماذا يريدون بالذكر؟ معناه الخاص.

المسألة الثانية في أنواع الدعاء، وهذا مرّ معكم، أن الدعاء على قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة.

دعاء المسألة واضح، وهو الذي يتبادر إلى ذهنك إذا قيل دعاء، ماذا يتبادر إلى الذهن؟ أنك تدعو الله تقول الله أدخلني الجنة وأعذني من النار ونحو ذلك مما تسأل ربك جَلَّوَعَلَا.

وأما دعاء العبادة فهو كل عبادة يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ من صلاة وزكاة وصوم كل هذه تسمى دعاء عبادة لأن حال هذا العابد، أنه يسأل ربه بلسان حاله لا بلسان مقاله أن يثيبه الله عَزَّوَجَلَّ على عبادته، وأن يدخله الجنة وأن يعيذه من النار، فلهذا سمي دعاء.

طيب ما المراد بالدعاء عندنا في هذه الرسالة؟ دعاء العبادة ولا دعاء المسألة؟ دعاء المسألة.

عرفتم الآن ما يتعلق بالذكر؟ عرفنا ما المراد في مثل هذه الرسالة وما المراد أيضا بالدعاء.

المسألة الثالثة: الفرق بين الذكر والدعاء، يعني الدعاء الذي هو دعاء مسألة.

الذكر بمعناه العام يدخل فيه الدعاء أم لا؟ يدخل فيه الدعاء.

وأما الذكر بمعناه الخاص نقول: هذا يختلف عن معنى الدعاء، فالدعاء كما عرفنا: سؤال الله عَزَّوَجَلَّ إما تحقيق مطلوب أو دفع مرهوب، هذا الدعاء، وأما الذكر بمعناه الخاص فهو الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، يعني أنت إذا قلت سبحان الله فهذا ذكر، ذكر بالمعنى الخاص، إذا قلت اللهم اغفر لي هذا دعاء مسألة.

إذن هناك فرق بين الدعاء والذكر بمعناه الخاص للذكر.

الذكر بمعناه الخاص ودعاء المسألة بينهما فرق، أما الذكر بمعناه العام فيدخل فيه الدعاء.

المسألة الرابعة: ينبغي لمن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ أن يجاهد نفسه في الإخلاص لله سبحانه فإن العمل لا يقبل إلا إذا كان خالصا صوابا.

ولا ينبغي للمرء أن يترك الذكر باللسان خوفًا من أن يقال إنه يرائي، بل يكثر من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ولو كان بصوت المسموع مع مجاهدة نفسه في الإخلاص لله سبحانه، ولأنه لو ترك العمل لأجل الناس لوقع في الشرك كما جاء في الأثر.

أيضًا يمكن للإنسان بجهره بالذكر على وجه مشروع أن ينوي بذلك تذكير غيره أن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فيكون هذا فيه نفع متعدٍ.

المسألة الخامسة: أنواع الذكر من جهة الإطلاق والتقييد.

الذكر ينقسم إلى قسمين، والمقصود بالذكر هنا ماذا؟ بمعناه الخاص.

ينقسم إلى قسمين: ذكر مطلق وذكر مقيد.

الذكر المطلق هو الذي لم يقيّد بزمان ولا مكان ولا حال ولا فعل، فيشرع بإطلاق، ويدلُّ لهذا عدة نصوص، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]

وقال جَلَّوَعَلَا ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٣] هذا كله ذكر مطلق.

من أمثلة الذكر المطلق أن يقول الإنسان لا إله إلا الله في كل وقت وفي كل حين وفي كل حال، في المكان الذي يناسب أن يذكر الله جَلَّوَعَلَا فيه وهذا لقول النبي ﷺ «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»

ومنه أيضًا الصلاة على النبي ﷺ، فقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرا**» وغير ذلك من أنواع الذكر التي فيها الفضل.

أيضًا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» هذا الحديث هو الذي ختم به البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه الصحيح وأيضا ختم به الحافظ ابن حجر كتابه بلوغ المرام، كل هذا من أنواع الذكر المطلق.

النوع الثاني الذكر المقيد.

وهو ما شُرِعَ مُقَيَّدًا بزمانٍ أو مكانٍ أو حالٍ أو فعل.

من أمثلة الذكر المُقَيَّد حمد الله عَزَّوَجَلَّ بعد الأكل والشرب، فهذا مُقَيَّدٌ بحال الأكل والشرب، حمد الله بعد العُطاس هذا مُقَيَّد بحال العُطاس، أيضًا أذكار الصباح والمساء، هذه مُقيدة بالصباح والمساء، أذكار النوم، وهكذا في بقية الأذكار المُقيدة.

بناءً على ما تقدم، فلا يجوز تقييد الذكر المطلق إلا بدليل من الشرع، فلا يُقيد بزمان ولا بمكان ولا بحال ولا بفعل إلا أن يدل على ذلك دليل.

مثلا لو أن شخصا كلما زالت الشمس سبح الله خمس تسبيحات. ما الحكم؟ لا يجوز، لماذا؟ لأنه قيّد.

لو قال التسبيح مشروع لماذا تمنعونني من هذا؟ تسبيح الله فيه فضل.

نقول: المنع لا من جهة التسبيح وإنما من جهة تقييد التسبيح بعدد جعلته خمسا، وقيّدته أيضا بزمان، ما الدليل على هذا التقييد؟ وإلا فسبّح الله عَزَّوَجَلَّ في كل وقت وحين من غير تقييد بزمان ولا مكان ولا بغيره.

المسألة السادسة في ذكر بعض ضوابط الذكر قد يكون مر شيء منها لكن أذكر بعض الضوابط.

الضابط الأول: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ مشروع في كل وقت وفي كل حال، يعني الذكر المطلق، ولكن يستثنى من ذلك المواضع التي لا يليق أن ي يُذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيها مثل الخلاء ومثل حال الجماع -وإن كان يذكر الله عَزَّوَجَلَّ قبل الجماع كما في الذكر المعروف- لكن في حال الجماع لا يليق أن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الحال.

والدليل لهذا الضابط -يعني أنه يذكر الله عَزَّوَجَلَّ على كل حال- قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه**»

الضابط الثاني: الأصل في الذكر المقيد التوقيف على ما ورد في لفظه وعدده في الكتاب والسنة، فلا يُنقص من لفظه ولا يُزاد عليه ولا يُغيَّر في عدده.

الدليل لهذا الضابط حديث البراء -رضي الله تعالى عنه- لما علمه النبي ﷺ دعاءً من أدعية النوم «**قال إذا أتيتَ مضجعكَ فتوضّأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقكَ الأيمَن ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك..**» إلى آخره.

النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال له في أثناء هذا الذكر قل: «**آمنتُ بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت**» فأعادها البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النبي ﷺ لأجل أن يستذكرها «**ورسولك الذي أرسلت**»

هل أقرّه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو أنكر عليه؟

أنكر عليه وأمره أن يقول كما علمه «**نبيك الذي أرسلت**» فدلّ هذا على أن الأذكار المقيدة يؤتى بها بألفاظها لا يزاد فيها ولا يغير منها ولا ينقص منها.

أيضا من جهة العدد إذا ورد الذكر سبع مرات أو ورد ثلاث مرات أو ورد عشر مرات نلتزم بهذا الذكر المقيد بالعدد، وذلك لأنه لو لم يكن للعدد فائدة لما ذُكر، لماذا يقول ثلاث مرات ثم يأتي شخص ويلتزم أربع مرات ما فائدة الحديث لمّا قيده بثلاث أو قيده بعشر؟

لكن يستثنى من ذلك أذكار معينة يأتي بيانها -إن شاء الله- في هذه الرسالة، وهو أنه يجوز الزيادة على ما قُيّد بعدد.

الضابط الثالث: لا يجوز أن يؤدّى الذكر المشروع على صفة غير مشروعة.

مثل ماذا؟ الذكر الجماعي مثلا، الذكر الجماعي بعد الصلاة كما في بعض البلاد يرفع الإمام صوته ثم بالذكر بعد الصلاة ومن خلفه من المأمومين كذلك.

ما معنى الذكر الجماعي؟ يعني أن يبتدؤوا سويا ويقطعوا الصوت سويا، الذكر في أصله مشروع لكن الصفة غير مشروعة، لذا تسمى بدعة إضافية، يعني ما يأتي من يفعل هذه البدعة ويقول الذكر مشروع. نقول: نعم الذكر المشروع لا نختلف فيه ونحن نأتي به لكن هذه الصفة في هذا الذكر المشروع تحتاج إلى دليل ولا دليل عليها في ما نعلم.

طبعا من أمثلة ذلك التكبير الجماعي التلبية الجماعية كل هذا داخل في النهي.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى يقول: وَأَمَّا دُعَاءُ الإِمَامِ وَالْمَأْمُومينَ جَمِيعًا عَقِيبَ الصَّلَاةِ فَلَمْ يَنْقُلْ هَذَا أَحَدٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا استدلال بأي شيء؟ بعدم فعل النبي ﷺ ذلك.

وخير الهدي هديه ﷺ، وكما أن سنته قولية وفعلية وإقرارية فسُنته أيضا تَركية، فما تركه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تركناه.

أيضًا ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدخل ذكر أن الذكر الجماعي من البدع، وأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن أخد من خلفائه الراشدين أنه فعل ذلك.

قد يحتج بعضهم بفعل عمر -رضي الله تعالى عنه- لما كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون فترتجُّ مِنى تكبيرا، وأيضا يحتج بعضهم بفعل ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما كانا يدخلان السوق في أيام العشر عشر ذي الحجة فيكبرون فيكبرُ الناس بتكبيرهما، هذا لا دليل فيه؛ لأنه ليس فيه أنهم كانوا يكبرون تكبيرا جماعيا، وإنما إذا كبر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان جهوري الصوت- سمعه أهل المسجد وقبته قريبة من المسجد، المسجد: المراد به مسجد الخيف في مِنى، فإذا سمعوا تكبير عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وهو خليفة راشد وقدوة- تنبّهوا فكبّروا فارتفع الصوت، كل يكبر لوحده فترتجّ مِنى تكبيرا، وكذلك يقال في تكبير أبي هريرة وابن عمر -رضي الله تعالى عنهما-.

أيضا مما يتعلق بهذا الضابط ما يقع من بعض المتصوفة في صفة الذكر من التصفيق أثناء الذكر أو أن يُقرن بالطبول والرقص والغناء، فهذا أيضا صفة في الذكر غير مشروعة ولا دليل عليها، بل هي بِدعة مُحدثة كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الضابط الرابع: أن الذكر يجوز من المحدِث حدثا أكبر أو أصغر، فيجوز للجنب وكذا للمرأة الحائض والنفساء أن يذكروا الله عَزَّوَجَلَّ لكن بغير القرآن، القرآن فيه كلام، وردت فيه الآثار في المنع من أن يقرأ الجنب ولو آية واحدة وأما الحائض والنفساء ففيها خلاف بين أهل العلم، والأقرب أنه يجوز لها أن

تقرأ لضعف الحديث الوارد في نهيها عن القراءة خاصة مع الحاجة لكن كلامنا الآن عن أي شيء؟ الذكر الذي هو التسبيح والتحميد ويدخل فيه الدعاء أيضا، فهذا جائز للمحدث حدثا أكبر أو أصغر.

الضابط الخامس أن الذكرَ إنما يكون حصنا للذاكر وحفظا له من الشرور إذا قالَه مؤمنا به معتقدا أنه ينفع قائله، أما إذا قاله مجربًا كما يقول بعضهم نجرب، الأذكار هذه قد تنفع وقد لا تنفع، هذا ما ينتفع بها لأنه ما قالها مؤمنًا بها، بل شاكًا هل تنفع أو ما تنفع فهذا لا ينتفع بها.

الضابط السادس: أن الأفضل في الذكر أن يكون سراً، هذا هو الأصل؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

ولكن مع كونه يذكر الله سراً لا بد أن يتلفظ يحرك اللسان والشفتين، يعني ما يكفي أن يُمِرَّ الذكر على قلبه، هذا ليس ذاكرا باللسان هذا ذكر قلبي فقط. والأكمل كما تقدم معنا أن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بلسانه وبقلبه، إذن لا بد أن يحرك شفتيه، لكن بالقدر الذي يُسمع نفسه، وإن كان في الجهر مصلحة تذكير غيره كما مر معنا فإنه يجهر به بالقدر المناسب.

هذا هو الأصل، أحيانا يخالف هذا الأصل لوجود الدليل، مثل ماذا؟

الأذكار دبر الصلاة، فقد ورد أنه يُجهر بها.

أيضا التكبير في أيام العشر وليلة العيدين فإنه يجهر به الرجال، التلبية يجهر به الرجال، ونحو ذلك مما جاء الجهر به.

الضابط السابع: الذكر المُقيد في موضعه أفضل من الذكر المُطلق وَلَوْ كَانَ الذِّكْرُ الْمُطْلَقُ أَفْضَل مِنَ الْمُقَيَّد.

هذا يتضح بالمثال، قراءة القرآن أفضل من الذكر أم لا؟ ومع ذلك إذا سلم الإنسان من الصلاة ما الأفضل؟

يقرأ القرآن أو يأتي بأذكار الصلاة؟

إذن الذكر المقيد في موضعه أفضل من الذكر المطلق ولو كان الذكر المطلق أفضل.

طبعًا إذا كان الذكر المطلق ليس بأفضل الأمر واضح لكن إذا كان أفضل فالمقيد هنا أفضل.

مثال آخر، آخر ساعة من الجمعة فيها فضيلة ماذا؟ الدعاء، وقد عرفنا قبل قليل أن الذكر مرتبته أفضل من مرتبة الدعاء، طيب، لو قال شخصٌ أنا سأشتغل بسبحان الله والحمد لله في آخر ساعة من الجمعة هل هذا أفضل أو يدعو الله عَزَّوَجَلَّ؟ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ. لماذا؟ لأن هذا الدعاء الذي هو ذكر بمعناه العام في هذا الموضع أفضل من غيره؛ لأنه يفوت، بخلاف ذكر الله عَزَّوَجَلَّ المطلق يمكن أن تذكر الله عَزَّوَجَلَّ بعد المغرب أو قبل هذه الساعة من الجمعة لكن هذه الساعة تفوت.

مثال آخر، إذا كان الإنسان يقرأ القرآن وسمع المؤذن، هل يجيب المؤذن أو يستمر في قراءة القرآن؟ يجيب المؤذن، مع أن إجابة المؤذن في الأصل ذكر والذكر دون قراءة القرآن في الفضل لكن في هذا الموضع نقول: الترديد مع المؤذن أفضل، لأنه يفوت وأما قراءة القرآن فيقرأ في أي موضع.

المسألة الأخيرة في المقدمات:

فوائد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ والكلام في فوائد الذكر طويل جدا، وقد أطال فيه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الوابل الصيب، تراجعونه.

ولولا خشية ضيق الوقت علينا لذكرتُ جملة من هذه الفوائد، ولكن لعله مر معنا شيء منها وسيأتي -إن شاء الله تعالى- في أثناء هذه الرسالة بيان شيء من فضائل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

***

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ورد في فضل الذكر والدعاء والحث عليهما آيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ نذكر ما تيسر منها.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]

هذه الآية فيها فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وتسبيحه.

قال جَلَّوَعَلَا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] هذا فيه الأمر من الله عَزَّوَجَلَّ لعباده بأن يكثروا من ذكره سبحانه بالتهليل والتحميد والتسبيح وغير ذلك ولهذا قال ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]

عرفنا التسبيح بأنه تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص وعيب، بُكرةً يعني أول النهار، وأصيلاً أي في آخر النهار، قال: وذلك لفضل هذين الوقتين، فخُصّا بذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] صلاة الله عَزَّوَجَلَّ على عبده هي ثناؤه عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين.

وصلاة الملائكة الدعاء. قال ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] يعني بسبب رحمته جَلَّوَعَلَا لعباده وثنائه جَلَّوَعَلَا عليهم، وأيضا دعاء الملائكة للعباد فإنه يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الهدى والإيمان ثم قال ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

نعم

وقال تعالى ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

هـذه الآية فيها أمر من الله عَزَّوَجَلَّ عباده بأن يذكروه، ووعد منه جَلَّوَعَلَا بأنهم إذا ذكروه أنه يذكرهم، وكفى بذلك شرفا وفضلا، فإن الله جل جلاله وتقدست أسـماؤه يذكرك أيها العبد الضعيف إذا قلت لا إله إلا الله أو قلت سـبحان الله، كما جاء في الحديث القدسي «**إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرتـه في ملأ خير منهـم**» يذكرك عند الملائكة المقربين عنـد جبريل وميكائيل وإسرافيل -عليهم الصلاة والسلام- فهذا فيه فضيلة الذكر.

نعم

وقـال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡـلِمِينَ وَٱلۡمُسۡـلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

إلى أن قال سبحانه ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

نعم والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يعني الذين يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ في أكثر الأوقـات خاصة ما ورد فيـه الذكر، يعني في طرفي نهار وفي الدخول للمسـجد والخـروج منه والدخول المنزل والخروج منه، يعني ما ورد في السـنة من هذه الأذكار المقيدة إذا واظب عليه المرء صباحا ومسـاء قائما وقاعدا ومضطجعا فإنه يرجى أن يكون من الذاكرين الله كثيرا فيحصل له هذا الفضل أن الله عَزَّوَجَلَّ يعد له مغفرة وأجر عظيما، ولا يَقدُر قدر ذلك الأجر إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وسيأتي معنا حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وهذا له مناسبة هنا وسيذكرها الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ أن النبـي ﷺ مـر على جبل يقال له جُمدان، وهو جبل شـمال مكة على طريق المدينة، فقال «**سـيروا، هذا جُمدان، سـبق المفرّدون، قالوا يا رسـول الله وما**

المفرّدون؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» ومعنى المفرّدون أي الذين انفردوا عن غيرهم لذكر الله عَزَّوَجَلَّ فهذا فيه أنهم سبقوا غيرهم بهذا العمل العظيم.

ومما يتعلق بهذه الآية أيضاً قول النبي ﷺ «**مَن استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلَّيا ركعتين جميعا كُتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات**»

نعم

وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

أي آياتٌ دالة على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظيم صنعه سبحانه، وعلى حكمته وعلى استحقاقه جَلَّوَعَلَا أن يُعبَدَ وَحدَهُ دُونَ ما سواه، وخصَّ من ينتفع بهذه الآيات بأولي الألباب يعني أولي العقول، يعني الذين ينظرون في هذه المخلوقات في السماء وفي الأرض والجبال وغيرها ينظرون إليها بقلوبهم وعقولهم لا نظر مجرد بالأبصار، فهؤلاء هم الذين ينتفعون بهذه الآيات.

قال ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] يعني في جميع أحوالهم، ويدخل في ذلك الذكر باللسان والذكر أيضا بالقلب، فليس ذكرا باللسان فقط ذكر بالقلب وذكر باللسان وأيضا ذكر بالجوارح؛ ولهذا استحقوا الفضل العظيم.

نعم

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]

هذا فيه الذكر في الجهاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ من الكفار تجاهدونها في سبيل الله ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾، أمرٌ لهم بالثبات، ثم قال ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ

كَثِيرًا﴾ فأمرهم بذكر الله عَزَّوَجَلَّ في حال الجهاد يعني لا تغفلوا في حال الجهاد وقتال العدو الذي تنصرف فيه الأذهان وينشغل الإنسان بنفسه وبنجاته وبقتال عدوه، لا يشغلك ذلك عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فإن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ سببٌ للفلاح، ولهذا قال في آخر الآية ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وتنتصرون على عدوكم وتظفرون بالأجر العظيم من الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة.

نعم

وقال تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]

في هذه الآية الأمر بذكر الله عَزَّوَجَلَّ والإكثار منه بعد الفراغ من المناسك ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ثم بيّن أن هذا الذكر ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] كما كان يفعل أهل الجاهلية إذا فرغوا من الموسم، يعني فرغوا من الحج، يجتمعون ثم يذكر كل واحد منهم أباه ومآثره ومناقبه.

فالله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١] جَلَّوَعَلَا كما تذكرون آباءكم في حال الجاهلية أو أشد ذكراً، بل أشد ذكراً من ذكركم لآبائكم، والمقصود الحث على الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

نعم

وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]

في هذه الآية نداءٌ لأهل الإيمان ونهيٌ لهم أن تُلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وأن من اشتغل بماله وولده عن ذكر الله جَلَّوَعَلَا فإنه خاسر،

فقد حصلت له الخسارة العظمى في الدنيا وفي الآخرة، ومفهوم هذه الآية أن من لم تُلهه أمواله ولا أولاده عن ذكر الله أنه لم يخسر، يعني أنه قد أفلح.

وقال تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]

هذه الآية مع التي قبلها يقول جَلَّ وَعَلَا ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]

فهذه الآية فيها المدح لهؤلاء الرجال الذين يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ حتى في حال تجارتهم وبيعهم ما غفلوا عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ مع أنه في الأسواق وفي حال البيع والشراء يغفل الناس عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا فالموضع الذي يغفل الناس فيه عن ذكر الله ينبغي للمؤمن أن يجتهد في أن يكثر من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ لا تغفل عن ذكر الله، مرّ قبل قليل في الجهاد وحال قتال وحال مصابرة وأمر عظيم ويأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإكثار من ذكره.

وهُنا يُثني الله عز وجلّ على هؤلاء الرجال من أهل الإيمان الذين لم يشتغلوا بالبيع والشراء عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

ودلَّت هذه الآية على أن هؤلاء لا عيب عليهم أن يزاولوا البيع والشراء والتجارة، لا عيب عليهم في ذلك لكنهم مع ذلك ما غفلوا عن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

طيب ما السبب في كونهم يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ حتى في حال البيع والشراء والتجارات ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧] هذا هو الدافع الذي جعلهم لا يغفلون عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ حتى في أمور دنياهم.

وقال تعالى ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

قوله ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] هذا أمر للنبي ﷺ والأمر له أمرٌ لأمته على سبيل التبع، قال ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

يعني تذكر ربك جَلَّ وَعَلَا في نفسك خاشعا متواضعا لله عَزَّوَجَلَّ راغبا فيما عنده راهبا وخائفا ووجلا من عذابه جَلَّ وَعَلَا، ويكون هذا الذكر في مرتبة بين الجهر والمخافتة، قال ﴿وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يعني خوف من الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يعني يكون في مرتبة بين الجهر والإسرار.

﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الغدو هو أول النهار والآصال هي آخر النهار.

ثم نهاه أن يكون من أهل الغفلة الذين لا يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ.

هنا حديث يتعلق بهذه الآية وهو حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان مع أصحابه في سفر، فرفعوا أصواتهم بالدعاء فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **«اربعوا على أنفسكم»** يعني هونوا على أنفسكم وارفقوا بأنفسكم **«فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب»**

فهذا فيه كما تقدم معنا أن الأصل في الذكر الإسرار به، إلا ما جاء الدليل على الجهر به.

قال تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]

هذا فيه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بعد الفراغ من الصلاة، صلاة الجمعة كما هو معلوم.

قال ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] يعني بالبيع والشراء لأنهم كانوا ممنوعين من البيع والشراء في حال الصلاة، بل من حين الأذان الذي هو الأذان الثاني الذي يدخل معه الخطيب كانوا ممنوعين من البيع والشراء.

ثم بعد الفراغ من الصلاة قال ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] ثم قال ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الجمعة: ١٠] هذا فيه كما في الآية المتقدمة أنك لا تغفل في أثناء البيع والشراء عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

نعم

والإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى ودعائه سبحانه مُستحب في جميع الأوقات والمناسبات وفي الصباح والمساء، وعند النوم والاستيقاظ، ودخول المنزل والخروج منه، وعند دخول المسجد والخروج منه؛ لما سبق من الآيات الكريمات، ولقوله تعالى أيضا ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]

هذه الآية في قوله جَلَّوَعَلَا ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [غافر: ٥٥] يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [غافر: ٥٥] أي وعد الله تعالى بنصرك وإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ وجعل العاقبة لك ولأتباعك فهذا حق لا شك فيه.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] هذا فيه الأمر بالاستغفار ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ [غافر: ٥٥] العشي هو أواخر النهار ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] أي في أوائل النهار.

وقوله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

نعم هذه الآية في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

اصبر على ما يقولون هذا أمر للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالصبر على ما يقوله المكذبون له وعلى ما يذمونه ويصفونه بالأوصاف المشينة ثم قال ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٥٥] هذا تسبيح مقرون بالحمد وعرفنا أن التسبيح هو تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص وعيب، هذا التسبيح مقرون بوصف الله عَزَّوَجَلَّ بالكمالات لأن الحمد هو وصف الله جَلَّوَعَلَا بالكمال محبة وتعظيما، وإذا ضُم التسبيح إلى التحميد أفاد معنى زائدا عظيما في حق الله جَلَّوَعَلَا.

قال ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] يعني في هذين الوقتين.

نعم

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]

الدعاء في هذه الآية يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

يدعون ربهم بالغداة في أول النهار، وبالعشي في آخر النهار، ماذا يريدون؟ يريدون وجهه والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ فهؤلاء هم الذين نُهي النبي ﷺ أن يطردهم وأن لا يجالسهم بل مثل هؤلاء الذين أخلصوا لله عَزَّوَجَلَّ عبادتهم حري أن يجالَسوا وحريّ أن يُكرموا.

نعم

وقوله تعالى ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]

هـذه الآية الكريمـة في نبي الله زكريـا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قـال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [مريم: ١١] يعني المحراب الذي بُشِّـر فيـه بالولد ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [مريم: ١١] يعني أشار إليهم إشارة خفية سريعة ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]

فأمرهم أن يُسـبِّحوا الله تعالى في أول النهار وفي آخر النهار، والبشارة هذه وإن كانـت له لكنها لقومه أيضا؛ لأن البشـارة بنبيّ فيهـا مصلحة عظمى أيضا للأمة، فلهذا أمرهم بما أُمر به من التسبيح في هذه الآية.

وفي سـورة آل عمـران قـال ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]

وقوله تعالى ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩]

في هذه الآية الأمر للنبي ﷺ بالصبر وأن يستعين على ذلك بذكر الله عَزَّوَجَلَّ وتسـبيحه ولهذا قال ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] قِيلَ حِينَ تَقُومٍ يعني من الليل، وقيل حين تقوم يعني إلى الصلاة فإن المرء إذا قام إلى الصلاة وكبّر ماذا يقول «**سبحانك اللهم وبحمدك**» دعاء الاستفتاح.

وقيـل حيـن تقـوم مـن كل مجلـس، يعنـي أراد بـه كفـارة المجلـس «**سبحانك اللهم..**» إلى آخره.

بعض أهل العلم يقول: الآية تعم هذه المعاني كلها.

نعم

وقوله تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: ١٧-١٨]

هنا تسبيح من الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه وهذا يتضمن إرشاد العباد إلى أن يسبحوه جَلَّوَعَلَا، ويكون التسبيح في هذه الوقتين حين تُمسون هذا في آخر النهار، وحين تصبحون في أول النهار قال ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨] عشيا قيل المراد به يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء وحين تظهرون يعني صلاة الظهر ويكون قوله جَلَّوَعَلَا تمسون قالوا هذه صلاة العصر، وتصبحون هذه صلاة الفجر، فيعمّ حينئذ الصلوات الخمس.

نعم

وقال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

الدعاء هنا يعم دعاء المسألة ودعاء العبادة.

قال ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] هذا وعد من الله عَزَّوَجَلَّ أن من دعاه فإنه يستجيب له.

ثم قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل عن دعائي، فدل على أن الدعاء عبادة وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله عَزَّوَجَلَّ شرك أكبر يخرج من الملة.

بل جاء صريحا في السُنة «**الدعاء هو العبادة**» كما سيأتي في الأحاديث التي ذكرها الشيخ.

ثم قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] يعني أذلاء حقيرين، نعوذ بالله.

وقال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

مر معنا قبل قليل حديث الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما رفعوا أصواتهم ماذا قال لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميع قريب**»

فالله عَزَّوَجَلَّ قريب من عبده يسمع دعاءه، فلهذا لا حاجة إلى رفع الصوت بالدعاء.

قال ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] والرشد هو الهداية، يقال فلان راشد أي مهتدٍ على وفق أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦]

تضرعا أي إلحاحا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب الملحين في الدعاء، وخفية: هذا كما تقدم معنا أن الدعاء يكون في الأصل سرا لا جهرا.

قال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] المعتدون هم المتجاوزون للحد المشروع، لا يحب المعتدين، أي لا يحب كل من تجاوز ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ له، ويدخلُ في ذلك الاعتداء في الدعاء، والاعتداء في الدعاء هو مجاوزة الحد المشروع فيه، كمن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أمراً ممتنعاً عقلاً وعادةً، أو يسأل الله عَزَّوَجَلَّ ما لم تجرِ سنته بإعطائه لعباده، أو يسأل الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء مخترع لا أصل له في الشرع ومن أمثلة ذلك أن يدعو شخص :اللهم آتني ملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أو أن يقول: اللهم أنزلني في منازل الأنبياء في الجنة.

كل هذا من الاعتداء في الدعاء أو يسأل فيقول: يا ربي أحيِ قريبي الميت، هذا مما جرت سنة الله عَزَّوَجَلَّ أنه لا يكون.

أيضا من الاعتداء في الدعاء رفع الصوت به والصياح به كما يحصل من بعض الناس والصراخ به ومع الأسف قد يكون هذا من بعض الأئمة في المساجد في أثناء دعاء القنوت قد يصرخ أحيانا بالدعاء صراخا قويا قد يفزع من خلفه، والله عَزَّوَجَلَّ ماذا يقول؟ ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]

وقد نص العلماء على أن رفع الصوت بالدعاء من الاعتداء في الدعاء، وحري بهذا أن لا يجاب دعاؤه؛ لأنه على خلاف أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

يستثنى من ذلك رفع الصوت الذي لا بد منه من قِبل الإمام في التراويح إذا دعا في القنوت يرفع صوته بالدعاء رفعا بحيث يُسمع من خلفه، وأما الكلام قبل قليل فهو في الرفع الزائد عن الحاجة، والذي يصل إلى الصراح والصياح ونحو ذلك، هذا كله داخل في الاعتداء في الدعاء.

من الاعتداء أيضا في الدعاء أن يدعو المرء على من ظلمه بأكثر من مظلمته، كمن يدعو على من أخذ شيئا من ماله أن يموت، وإنما الجائز أن يدعو عليه بمثل مظلمته، كما لو قال يا ربي افعل به كما فعل بي، أو مثلا إذا أخذ ماله قال: اللهم أتلف ماله الذي أخذ مني أو نحو ذلك، المقصود أن يكون الدعاء على قدر ما حصل من المظلمة، لا يكون فيه تجاوز، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ أنه قال «**وانصرني على من ظلمني وأرني فيه ثأري**»

والله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]

وإن كان الأولى بالمؤمن أن يعفو إذا كان في العفو مصلحة، وأن لا يدعو لأنه إذا دعا على من ظلمه نقص أجره.

الدعاء على من ظلم جائز بقدر المظلمة كما تقدم ولكن كونه يترك الدعاء عليه ويحتسب الأجر عند الله عَزَّوَجَلَّ هذا لا شك أنه أكمل.

من الاعتداء في الدعاء أيضا الدعاء المسجوع المتكلف مما لم يرد في كتاب ولا سنة، والسجع هو الكلام المقفَّى الذي تنتهي جمله على حرف واحد.

ومما يدل على النهي عن الدعاء المسجوع المتكلَّف ما جاء في صحيح البخاري أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال لعكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ «**فانظر السجع في الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك**» يعني إلا ذلك الاجتناب.

وأما ما ورد في السنة من السجع فإنه سجع تروق له الأسماع وليس فيه تكلف كقول النبي ﷺ «**اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب**»

هذا كله سجع لكنه سجع سهل يعني يروق للسمع وليس فيه تكلف.

قال سبحانه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] **الآية.**

أمن يجيب المضطر: يعني لا أحد يجيب المضطر إذا دعاه ولا أحد يكشف السوء ولا أحد يجعلكم خلفاء الأرض إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا كان كذلك فإنه هو الذي يُدعى وحده دون ما سواه، فإنه هو الذي يجيب المضطرين ويكشف ما بهم، ولهذا قال في آخر الآية ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]

وذلك أن كفار قريش يقرون بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يكشف الضر ولهذا ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

يُقِرُّون بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يكشف الشدائد عنهم وحده دون ما سواه، ومن العجب عند المشركين المتأخرين أنهم إذا جاءت الشدائد لا يعرفون الله ويلجؤون إلى آلهتهم فيسألون البدوي ويسألون الحسين، بينما كفّار قريش الذين قاتلهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واستباح دماءهم وأموالهم وحكم الله بكفرهم ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فدلَّ هذا على أن شرك المتأخرين أعظم من شرك المتقدمين كما قرره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع.

وفي صحيح مسلم أن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُفّة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك.

قال: «أَفَلَا يغدو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرأَ آيَتَيْنِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ من ناقتين، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِن ثَلَاثٍ، وَأَرْبَع خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَع، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»

هذا الحديث فيه فضيلة قراءة وتعلم القرآن الكريم.

وقوله: ونحن في الصفة موضع مُظلل في مسجد النبي ﷺ يأوِي إليه الفقراء من الصحابة من المُهاجرين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وقوله: يغدو أي يذهب في أول الصباح يعني يذهب مُبكِّرا، وبُطحان والعقيق هما واديان في المدينة.

قال بناقتين كوماوين، كوماوين تثنية كوماء وهي الناقة العظيمة السنام، يعني كأن سنامها كوم.

وقوله «**في غير إثم ولا قطيعة رحم**» يعني أنه لا يأخذ هاتين الناقتين بسرقة أو بغش أو نحو ذلك مما حرم الله عَزَّوَجَلَّ ولا يترتب على أخذ هاتين الناقتين إثم وشحناء وبغضاء بينه وبين إخوانه.

معنى هذا الحديث الترغيب في قراءة القرآن الكريم وتعلُّمه، وأن من تعلم آيـة من كتاب الله وقرأها فهـو خير من هذه الناقة العظيمة السـنام التي هي من أعظـم ما يكون عنـد العرب، وإلا فإنه مـن المعلوم أن قراءة القـرآن لا تقارن بشـيء من الدنيا، ولكن هذا من باب التشـبيه والتقريـب لهم لأجل أن يفهموا مراد النبي ﷺ.

وفي صحيح البخاري عَـنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

هذا الحديث أخرجه البخاري من طريق أبي عبدالرحمن السُـلمي رَحِمَهُ اللَّهُ يرويه عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»

قـال أبو عبد الرحمن السُـلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: فذلك أقعدني مقعـدي هذا، يعني هذا الحديث هو الذي أقعدني مقعدي هذا، فكان يعلم القرآن من خلافة عثمان إلى آخر إمرة الحجاج، كم سنة؟

يقـول ابـن كثيـر رَحِمَهُ اللَّهُ في فضائل القرآن: قريب من السـبعين سـنة يقول هـذا الحديث «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» هو الذي أقعدني هذا المقعد، أن أجلس لأعلّم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

فهذا الحديث حديث عظيم فيه فضيلة تعلُّم وتعليم كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

المعنـى أعـم مما قـد يُتصوَّر، فتعليـم القـرآن وتعلم القرآن يشـمل تعلم حروفه وألفاظه ويشـمل أيضا تعلم معانيه وما دل عليه من المعاني العظيمة في ذات الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيـده ومـا دل عليه من الأحـكام وما دل عليه من الأخلاق وغير ذلك.

بـل إن تعلم المعنى هو المقصود من إنـزال القرآن، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

فلا شـك أن تعلم الألفاظ تعلم الحروف وحفظ القرآن هذا مطلوب وفيه أجـر، لكـن لا يُقتصر عليه بل يتعلم معه أيضا المعنى كما فعل السـلف، فإنهم كانوا لا يحفظون شيئًا من القرآن إلا وقد علموا ما فيه من العلم والعمل، فنتج عن ذلك أنهم أصبحوا علماء.

ولهـذا إذا قيـل: القـارئ والقراء في زمان السـلف ماذا يراد بهـم؟ يراد بهم العلمـاء، كمـا جـاء عن عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- أن القـراء كانـوا أهل مشـورته، ليس المقصـود القراء الذين يحفظون القرآن ولا يفهمـون المعنى، وإنما المقصود أنهم علماء.

أيضـا يدخل في معنى هذا الحديث من يُعلم القـرآن بماله كما يحصُل من أهل الإحسـان والإنفاق الذين ينفقون على دور القـرآن ومدارس القرآن فهم داخلون في ذلك إن شاء الله.

نعم

وفي صحيح مسـلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»

هذا الحديث واضح في أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، فالقرآن يشفع والصيام يشـفع، القرآن يقـول منعته النوم بالليل، والصيـام يقول منعته الطعام والشراب في النهار فشفعنا فيه، قال: فيُشفّعان.

فهذا فيه فضيلة القرآن وأنه يشفع لصاحبه يوم القيامة.

نعم

وفي صحيح مسلم أيضا من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهم رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان أو ظُلّتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تُحاجان عن صاحبهما»

قوله في هذا الحديث: غمامتان أو ظلتان، وفي الرواية الأخرى غايتان، المراد كل ما أظل الإنسان من فوقه فهو غمامة، أو يقال: غاية، أو نحو ذلك.

وقوله في الحديث: بينهما شرق يعني بينهما ضياء ونور.

أو كأنهما حِزقان من طير صواف، وحزقان كما جاء في الرواية الأخرى قال: فِرقان، فالمعنى واحد يعني قطيعان أو جماعتان من الطير.

قال: تُحاجان عن صاحبهما.

هذا فيه أيضا أن القرآن يحاجّ عن صاحبه ويدافع عنه يوم القيامة.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألف لام ميم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي بسند حسن.

هذا الحديث فيه فضيلة قراءة القرآن وبيان هذا الفضل، وأن كل حرف من القرآن بعشر حسنات وهذا هو الأصل في المضاعفة، كل حسنة تكون بعشر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] والله عَزَّوَجَلَّ قد يضاعف لمن يشاء ما يشاء.

قوله في هذا الحديث «**لا أقول ألف لام ميم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»

يعني أنه إذا قال ألف لام ميم يثاب بكم حسنة؟ يثاب بثلاثين حسنة.

قد يقول القائل: لماذا قال النبي ﷺ هذا؟ ولماذا أتى بهذا التفصيل؟ وأن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، وهذا معروف أن هذه حروف هجائية.

يقال في الجواب عن هذا أن الحرف قد يطلق على حرف الهجاء وقد يُطلق على الكلمة المركبة من أحرفٍ هجائية بل قد تُطلق الحروف على ما هو أكثر من ذلك قد تُطلق على الكلمة التي تُقال يُقال هذا حرف، ولهذا فصل النبي ﷺ حتى يزيل اللبس الذي قد يكون عند بعض السامعين فبيّن أن كل حرف من الحروف الهجائية يكون له به حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

نعم

وثبتَ عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تدلُّ على فضل الذكر والتحميد والتهليل والتسبيح والدعاء والاستغفار، في كل وقت وفي طرفَي الليل والنهار وفي أدبار الصلوات الخمس بعد السلام نذكر بعضها.

فمن ذلك قوله ﷺ «سبق المفردون» قالوا يا رسول الله من المفردون؟ قال «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعم هذا تقدم معنا.

قال ﷺ «أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» رواه مسلم.

قوله في هذا الحديث «**أحب الكلام إلى الله**» هذا يحمل على كلام الإنسان، وأما القرآن فإنه وإن كان داخلاً في العموم أحبُّ الكلام يدخل فيه القرآن، لكن ليس داخلاً هنا، فهذا الحديث محمول على كلام الإنسان، أحب كلام

الإنسان إلى الله هو هذه الكلمات المذكورة في الحديث سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر، وإلا فالقرآن كما تقدم أفضل من الذكر.

وقوله: أربع هذا من باب تقريب العلم وهذا له نظائر، «**سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وغيره مما يُذكر فيه العدد، هذا من باب تقريب العلم لأنه إذا حصر لك هذه الخصال أو هذه الكلمات أو نحوها فإنك تضبطها، فإذا أردت أن تعود وتقول أربعا ذكرت ثلاثا ونسيت الرابعة تستذكرها فتأتي بها، بخلاف إذا لم يذكر لك أربع أو سبع أو نحو ذلك فإن المرء ربما نسي بعضها ولم يتنبه.

وفي هذا الحديث إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته في قوله أحب الكلام إلى الله فهو سبحانه يحب ويحَبّ، كما في قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفيه فضيلة الكلمات الأربع الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله، هذه الكلمات الأربع فيها فضل عظيم كما جاء في هذا الحديث أنها أحب الكلام إلى الله، وأيضا جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليه مما طلعت عليه الشمس**»

يعني أحب إليه من الدنيا وما فيها.

كلمات أربع يسيرة لكن إذا تأملت في هذه الأجور العظيمة المرتبة على الذكر مع سهولته قد يقول قائل كيف هذا؟ قد يستغرب البعض ما هذه الأجور العظيمة المرتبة على الذكر مع سهولته، وقت يسير تقوله ما يُكلفك شيئا.

نقول: لا، هذا الذكر تضمن أعظم ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به وهو التوحيد، تأمل في الأذكار كلها وفي الأدعية كلها تدور حول التوحيد، سبحان الله: عرفنا تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص وعيب هذا توحيد.

الحمد لله: وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالكمالات هذا توحيد.

لا إله إلا الله: كلمة الإخلاص، لا معبود بحق إلا الله.

لا حول ولا قوة إلا بالله: توحيد، أنك لا تتحول من حال إلى حال، من حال فقر إلى غنى أو من حال مرضٍ إلى عافية أو غير ذلك، من جهل إلى علم، كله بالله جَلَّوَعَلَا استعانة بالله سبحانه، فأنت إذا تأملت تجد أن هذه الأذكار وهذه الأدعية متضمنة لأعظم مأمور به وهو توحيد الله جَلَّوَعَلَا

وفيها أيضا نفي ما يناقض التوحيد، فيها النهي عن الشرك ونحوه كما في قوله: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد هو على كل شيء قدير**»

إذن لا تستغرب أن يرتب على الذكر الفضل العظيم مع سهولته، لماذا؟ لأنه تضمن توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد عرفنا أن الذكر النافع هو ما كان يتواطأ فيه القلب مع اللسان، إذن هو يزيد الإيمان ويزيد في توحيد العبد.

> **وفي صحيح مسلم أيضا عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلاما أقوله.**
>
> **قال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم» فقال يا رسول الله إن هؤلاء لربي فما لي؟ قال «قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»**

هذا الذكر يقول فيه النبي ﷺ لهذا الأعرابي الذي سأله: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا.

كبيرا هذا منصوب بفعل محذوف، وتقديره كبّرتُ كبيرا، أو ذكرت كبيرا.

والحمد لله كثيرا أي حمدا كثيرا.

ثم قال ولا حول ولا قوة إلا بالله، عرفنا معناها.

فقال هذا الأعرابي: هؤلاء لربي، يريد أنها ذكر لله عَزَّوَجَلَّ، ما فيها طلب، ما فيها سؤال.

فما لي؟ يعني ما لي من الدعاء؟

فقال له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**قل: اللهم اغفر لي وارحمني وهدني وارزقني**»

هذا معنى كلامه لما قال: هؤلاء لربّي، يعني لذكر الله عَزَّوَجَلَّ، طيب هو يريد شيئا آخر، يريد سؤالا، يريد طلبا فأرشده إلى الدعاء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

نعم

وقال أيضا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**» **أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذا الحديث فيه الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، خمس كلمات، وبعضهم يذكر أربع كلمات، يعني في بعض الأحاديث أنها أربع كلمات دون لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا الحديث جاء عند النسائي في السنن الكبرى، يعني قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخرجه النسائي يريد -والله أعلم- في السنن الكبرى من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن النبي ﷺ قال «**خذوا جُنتكم**» -يعني وقايتكم- قالوا يا رسول الله أمن عدو قد حضر؟ قال «**لا ولكن جنتكم من النار**» يعني وقايتكم من النار «**قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مجنّبات ومعقّبات، وهن الباقيات الصالحات**»

فهـذا فيـه فضل هذه الكلمـات المذكـورة في الحديث وأنها مـن الباقيات الصالحـات، وذهـب بعـض العلمـاء إلـى أن هذا الحديـث مفسّـر للقرآن في قـول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]

ففسـروا القـرآن بالسـنة، قالـوا: المـراد بالباقيـات الصالحـات هي هذه الكلمات الأربع.

وذهـب بعض العلمـاء كابن جريـر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ والعلامة ابن سـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالـى إلى أن المراد بالباقيات الصالحات ما هو أعم، فيدخل فيها كل عمل صالح، فـإن العمل الصالح هو الذي يبقى وغيره يفنى ويزول فيدخل في معنى الباقيات الصالحات كل عمل صالح، ومنها هذه الكلمات الأربع، يعني عمَّموا المعنى.

وانظر إلى اقتران الفاني بالباقي في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]

المـال والبنـون يبقى أم يذهـب؟ فهذه زائـلات فانيات ثم ذكـر الباقيات الصالحات وهي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أو العمل الصالح عموما.

وقـال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «مـا عمل ابـن آدم عمـلاً أنجى له من عـذاب الله من ذكر الله» أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

نعـم هذا الحديـث يدل على فضيلـة الذكر وأن من فضائلـه أنه ينجي من عـذاب الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بـل إنه من أفضل الأعمال التـي تنجي، لهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

نعم

وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضَّة، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله» رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

هذا حديث عظيم في فضل الذكر، وتأمل فيه أن النبي ﷺ جعل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أفضل من أعمال عظيمة جليلة فقال «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم**» في رواية «**وأرضاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق**» الورق يعني الفضة، يعني خير لكم من إنفاق المال، من الصدقة، ولهذا ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع العلوم والحكم أن هذا الحديث دليل على أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أفضل من الصدقة.

ثم قال ما هو أعظم أيضا من الصدقة «**وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم**» يعني تقتلوا الأعداء في سبيل الله وهذا من أجل الأعمال «**ويضربوا أعناقكم**» يعني أن تُستشهدوا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ قالوا بل يا رسول الله ما هذا العمل الذي هو أفضل من هذا كله؟ قال «**ذكر الله**».

هذا الحديث استشكله بعض العلماء، قالوا كيف يكون الذكر أفضل من الجهاد بل أعلى ما يكون من الجهاد الذي فيه قتل واستشهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

وأعظم أيضاً من الصدقة والصدقة عمل نفعه متعدٍّ.

إذن هذا إشكال ذكره بعض العلماء.

أجيب عنه، قالوا: إن المراد الذي فيه هذا الفضل ذكر القلب واللسان معاً، لأن الإنسان إذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بلسانه وقلبه ارتدع عن التقصير في حق الله عَزَّوَجَلَّ ودعاه ذلك إلى العمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ فيكون الذكر بالقلب واللسان

داعيا إلى فعل ما أمر الله وناهيا عما نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وهذا لا شك أنه واجب على العبد فهو فرض عين وأما الجهاد فما حكمه؟ فرض كفاية، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية، هذا توجيه من بعض أهل العلم.

القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجّه هذا الحديث فقال: مَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ إِلَّا وَالذِّكْرُ مُشْتَرَطٌ فِي تَصْحِيحِهِ فَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ بِقَلْبِهِ عِنْدَ صَدَقَتِهِ أَوْ عِنْدَ صِيَامِهِ أو عند جهاده، أو غيره، فليس عمله كاملا.

فصار الذكر أفضل من هذه الحيثية، يعني الذي يتصدق هذا ذِكر كما عرفنا الآن الذكر بمعناه العام، لكن لو لم يكن قد ذكر الله بقلبه، ما استحضر المعنى والقربة إلى الله والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ ما ذكر الله بقلبه وإنما بعمله فقط هل يكون أجره مثل أجر من يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بقلبه ولسانه؟ نقول لا.

وأيضا كما ذكر ابن العربي يقول هون الآن اشترط الذكر القلبي في العمل البدني فحينئذ يكون الذكر أفضل.

وأيًّا كان، سواء سلمنا بهذا الجواب أو ما سلمنا المقصد من الحديث ماذا؟ الحث والترغيب على ذكر الله جَلَّوَعَلَا، سواء كان أفضل من العمل الذي ذكر أو ليس بأفضل على تفصيل، لأن بعض العلماء يقول هناك أحاديث تدل على أن أفضل العمال الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ثم ذكر الجهاد وذكر بر الوالدين، ما ذكر الذكر؟ واضح؟ يعني من باب النظر في الأدلة ولكن الذي نخلص منه أن هذه الحديث حديث عظيم يدل على فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

نعم

***

وقال ﷺ «لا يقعد قوم يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

هذا الحديث فيه فضيلة الاجتماع على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان اجتماعا في بيت من بيوت الله وهي المساجد كما جاء في بعض الألفاظ، أو كان في أي مكان، ولهذا قال: ما قعد قوم مقعدا، في رواية: مجلسا.

هذا عام يعمّ المساجد وغير المساجد، وإن كان ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في المساجد أولى، فإنها أحب البقاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال «**إلا نزلت عليهم السكينة**»

السكينة هي الوقار والخشية وما يحصل للقلب من السكون والطمأنينة.

«**وغشيتهم الرحمة**» أي علَتهم رحمة الله عَزَّوَجَلَّ «**وحفّتهم الملائكة**» أحاطت بهم ملائكة الرحمة وملائكة البركة وذلك أن الملائكة تحفّ بالذاكرين إكراما لهم ومشاركة لهم أيضا في ذكر الله -عز وجل ولما يحصل بهم من حفظهم لهؤلاء الذاكرين.

وقال ﷺ «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» متفق عليه من حديث أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

نعم هذا الحديث كما ذكر الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ مُتَّفَق عليه، ولعله يريد رَحِمَهُٱللَّهُ مُتَّفَق عليه من جهة أصل الحديث، وإلا فلفظه عند مسلم كما ذكر الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ، وأما عند البخاري فلفظه «**من قال عشراً كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل**»

عشـراً يعني.. قبله حديث فيه هذا المعنى، يعني يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلى آخره، إذن المقصود أن هذا الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ والبخاري أصله فيه هذا الحديث لكن بلفظ قريب.

وفي هـذا الحديـث فضيلـة هذا الذكر لا إلـه إلا الله وحده لا شـريك له له الملـك ولـه الحمد وهو على كل شـيء قدير، وفضله أنه يكـون من قاله كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، من قاله عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل يعني أنها من أنفَس ما يكون من الرقاب.

لأن إسـماعيل هـو أبـو العرب، إسـماعيل بـن إبراهيم -عليهمـا الصلاة والسلام- أبو العرب المستعربة.

نعم

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال:

«مـن قـال لا إله إلا الله وحده لا شـريك له له الملك وله الحمـد وهو على كل شـيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشـر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سـيئة وكانت له حرزا من الشـيطان يومه ذلك حتى يمسـي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك، ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»

هذا الذكر العظيم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شـيء قدير، من قاله في يوم مائة مرة حصل له خمس فضائل، ما هذه الفضائل الخمس؟

الفضيلة الأولى: كان كمن أعتق عشر رقاب.

الثانية: كُتِبَتْ لَهُ مِئَة حَسَنَة.

الثالثة: مُحيَتْ عنهُ مِئَة سيئة.

الرابعة: الحماية والحرز من الشيطان.

الخامسة: لم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر مما عمل.

وهـذا الحديث يقيّد الضابط الذي مـر معنا في أول الدرس، وهو أن الذكر المقيد إذا جاء بعدد فإنه يُقتصر على العدد ولا يزاد عليه ولا ينقص منه.

هنـا الآن قال: إلا من جاء بأكثر مـن هذا العدد، فيكون له الفضل أكثر مما ورد، يعني بحسـب الزيادة فحينئذ نقول: لـو زاد على مائة مرة فلا حرج، لكن تنتبه إلى أنه إذا زاد لا يلتزم عددا زائدا يواظب عليه دائما، فمثلاً لو زاد إلى مائة وعشـرين نقول لا تلتزم مائة وعشـرين كل يوم لأن هذا يحتاج إلى دليل وإنما تزيد على المئة مئة مرة ما تشـاء في يوم تجعلها مائة وعشـرين وفي يوم تجعلها مائة وخمسـين وفي يوم تجعلها مائتين، لا تلتزم عـدداً زائداً معينـاً، ولك بقدر هذه الزيادة، لك من الأجر أكثر مما يحصله من اقتصر على المائة مرة.

ثم ذكر «**من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة قال حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**» زبد البحر يعني ما يحصل من البحر عند هيجانه من الرغوة.

هذا الزبد الكثير شُبّه به مغفرة ذنوبه وإن كانت الذنوب كثيرة، وهذا يحمله العلمـاء على صغائر الذنـوب، أكثر العلماء يحملون هـذا الحديث وأمثاله في تكفير الذنوب على الصغائر وأما الكبائر فلا بد لها من توبة.

وفي الصحيحين أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»

قوله «**كلمتان**» يراد بهما الكلام، وهذا من إطلاق الكلمة على الكلام، يعني لو تأملت الكلمتين ما هما؟ سـبحان الله وبحمده هـذه الكلمة الأولى والثانية

سبحان الله العظيم، هل هي كلمة أم جملة؟ جملة، ولكن هذا معروف في كلام العرب أنهم يطلقون على الجملة كلمة.

قال «**حبيبتان إلى الرحمن**» حبيبة بمعنى محبوبة إلى الرحمن، وكذا قائلها محبوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وقوله «**الرحمن**» لماذا خص الرحمن بالذكر؟

قالوا لأن المقصود بيان سعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل.

«**خفيفتان على اللسان**» وذلك لقلة حروفهما وأنهما أيضا من الحروف السهلة المخارج، قالوا: فليس فيهما أو حرف من حروف الشدة ولو أكثر الإنسان الإتيان بهذا الذكر لم يتعب لسانه.

«**ثقيلتان في الميزان**» يعني أجرهما عظيم يوم القيامة.

«**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» هذا مر معناه بيان معناه كثيراً.

نعم

وخرّج الترمذي وغيره بإسناد حسن عن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما قعد قومٌ مقعداً لم يذكروا الله فيه عَزَّوَجَلَّ ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم تِرة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»

هذا فيه أنه لا ينبغي للمسلم إذا جلس مجلساً أن يقوم من غير أن يذكر الله جَلَّوَعَلَا أو أن يصلّي على النبي ﷺ، هذا إذا كان المجلس مجلسا مباحا، ومع ذلك فإن الإنسان يندم ويحصُل له الحسرة يوم القيامة أنه لم يذكر الله جَلَّوَعَلَا في هذا المجلس ولم يصلّ على رسوله ﷺ أما إذا كان المجلس فيه ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ من الغيبة والنميمة وغير ذلك فهذا لا بد فيه من التوبة ولا بد فيه من الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله في هذا الحديث «**عليهم تِرة**» الترة بمعنى الحسرة والندامة.

نعم

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» أخرجه مسلم في صحيحه.

نعم هذا تقدم معنا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» أخرجه مسلم في صحيحه.

هذا أيضا تقدم معنا بلفظ قريب من هذا لكن في آخره «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» وقال قبل ذلك «**وذكرهم الله في من عنده**» يعني أن العبد إذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في ملأ من الناس فإن الله جَلَّوَعَلَا يذكر عبده في ملأ من الملائكة خير من ذلك الملأ.

قال «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»

يعني أن النسب وإن كان شريفًا إذا لم يكن صاحبه من أهل الإيمان فإن نسبه لا ينفعه شيئا ولا يقدّمه، وعلى العكس من ذلك لو لم يكن صاحب نسب شريف ولكنه من أولياء الله المتقين فإن عمله يقدمه ولا يضره نقص في نسبه.

نعم

***

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به في صلاتي وفي بيتي، قال: قل «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»

هذا الدعاء العظيم الذي علمه النبي ﷺ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا فيه أنه يستحب أن يؤتى بهذا الدعاء في الصلاة ولم يعيّن الموضع الذي يؤتى فيه بهذا الدعاء، ولكن قال بعض الشراح إنه يؤتى به في السجود لما علم أن السجود موضع دعاء، «**أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فقَمِن أن يستجاب لكم**»

وقال بعضهم يؤتى به أيضا في آخر الصلاة بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ وقُبيل السلام لما جاء في الحديث أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال «**ثم ليتخير من الدعاء ما شاء**» سواء أتى به في هذا أو في هذا.

هذا الحديث يقول فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا**» هذا فيه الاعتراف بالذنب والتقصير، والاعتراف بالذنب من أسباب التجاوز عنه ومن أسباب قبول الدعاء الذي يأتي بعده.

قال «**وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» هذا فيه التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يغفر الذنب كما قال تعالى ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

ثم بعد ذلك جاء السؤال قال «**فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» هذا في طلب الرحمة، وطلب الرحمة يحصل به للعبد.. إذا حصلت له رحمة الله عَزَّوَجَلَّ حصل له خير الدنيا والآخرة.

ثم ختم الدعاء باسمين عظيمين وهما الغفور والرحيم، وتلحظ هنا أن الأسماء هنا مناسبة للدعاء فالتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ يكون بأسماء تناسب

المطلوب فإذا سأل الله عَزَّوَجَلَّ الرحمة يتوسل باسم الله الرحيم إذا سأل المغفرة يتوسل باسم الله الغفور وإذا أراد النصر على أعداءه فيتوسل باسم مناسب فيقول يا قوي يا عزيز انصرني على من ظلمني ونحو ذلك.

نعم

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «الدعاء هو العبادة» أخرجه أصحاب السنن الأربعةُ بإسناد صحيح.

نعم هذا تقدم معنا في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يقول «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك» رواه مسلم في صحيحه.

«**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك**» يعني ذهاب النعمة، وقوله نعمتك هذه مفرد مضاف فتفيد العموم، يعني كأنه يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمك والنعم تشمل النعم الظاهر والباطنة.

والاستعاذة من زوال النعم يتضمن الحفظ من الوقوع في المعاصي لأن الوقوع في المعاصي سبب في زوال النعم فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فاستحضر هذا المعنى العظيم.

«**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك**» قد يتبادر إلى الذهن أننا لا نريد زوال هذه النعمة ونريد بقاء النعمة لكن هناك معنى خفي، وهو أنك تسأل ربك أن يبعدك عن كل سبب تزول به النعم، وهو الذنوب والمعاصي.

قال «**وتحول عافيتك**» يعني انتقال العافية إلى ضدها.

فـإن كانت العافيـة في البدن فإنه يتعوَّذ من ضدها وهـو المرض، وإن كانت العافية في المال فيتعوَّذ من ضد هذه العافية وهي ذهاب المال وحصول الآفة له أو حصـول الفقـر، وإن كانت العافية في الدين فيتعـوَّذ بالله عَزَّوَجَلَّ من ذهاب دينه وردته عن الإسلام أو النقص الذي يحصل له في دينه، وهكذا في سائر النعم.

قال «**وفُجاءة نقمتك**» يعني أن تحصل العقوبة بغتة من غير توقع.

وذلـك أن العقوبـة قد تكون على وجه التدريج تأتي رويـداً رويداً، فحينئذ ربما أن العبد يتنبه فيتخذ الأسـباب لمنع وقوع هذه العقوبة، كأن يكون حصل منـه معـاصٍ فبدأت عقوبة متدرجـة كأن يكون ضعف في بدنـه بداية مرض ثم يتنبه فيتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويلجأ إلى ربه ربما رفع الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

لكن إذا وقعت العقوبة بغتة فحينئذ لا يمكن التدارك، فلهذا خصها في قوله «**وفجاءة نقمتك**».

ثـم قـال «**وَجَمِيـعِ سَـخَطِكَ**» هذا تعميـم بعـد تخصيص، يعنـي جميع ما يسـخط الله عَزَّوَجَلَّ، وكما تقدم أن الذنوب مما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ وتترتب عليها العقوبات.

وفي هذا الحديث إثبات السخط لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته.

نعم

وعنـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان رسـول الله ﷺ يقـول «اللهم إني أعـوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء» رواه النسائي وصححه الحاكم.

«**غلبـة الدّيـن**» أي أن يقهره الدين، وهو الدين الـذي ليس عنده وفاء، ليس عنـد المدين وفاء لهـذا الدين، خاصة إذا طالبه به الدائـن، فهذا يكون قد غلبه الدين، والدين إذا غلب صاحبه أصابه بالهم والغم.

ولـه- يعني الدين الذي يغلب- له آثار على صاحبه فربما كذب وأخلف، ولهذا قال النبي ﷺ «**إن الرجل إذا غرِم حدّث فكذب ووعد فأخلف**»

أمـا الدين الذي لا يغلـب المدين يعني لا يعجز عـن وفائه بل يغلب على ظنه أنه يؤدي الدين عند حلول الأجل فهذا لا يُسـتعاذ منه وليس داخلاً في هذا الحديث.

وعلـى هـذا يُحمل أن النبي ﷺ اسـتدان بل مـات عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ودرعه مرهونة عند يهودي في شـعيرٍ اشـتراه لأهله فهذا دين عليه لأن الرهن ما يكون إلا بدين واستدان أيضـاً في غير هذه القصة.

إذن هـذا ديـن لم يغلـب صاحبه، والمسـتعاذ منه غلبة الديـن، وهو الذي يعجز صاحبه عن الوفاء.

قال بعد ذلك «**وغلبة العدو**» لأن العدو إذا غلب وقهر الانسان أو قهر أهل البلد إذا اسـتولى عليها حصل لهم بذلك الذل والهوان والتشـريد وأخذ المال وغير ذلك مما يستعاذ منه.

قال «**وَشَـمَاتَةِ الأَعْـدَاءِ**» يعني فرح الأعداء بما يصيب الإنسـان من البلاء، وهذا يتضمن الاستعاذة من نزول البلاء.

يعني إذا قال «**اللهم إن أعوذ بك من شـماتة الأعداء**» يشـمل أنه لو حصل له بلاء لا يُشـمت ويشـمل أيضـاً ألا يحصـل البلاء أصلاً، لأن البـلاء إذا حصل وعلم به العدو فإنه يشمت به.

نعم

***

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمع النبي ﷺ رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال رسول الله ﷺ «لقد سأل الله باسمه الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دعي به أجاب» أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان.

هذا الحديث يقول فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه لما سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، يعني أشهد بأنك تستحق العبادة وحدك لا شريك لك، الأحد أي أنه واحد جَلَّ وَعَلَا في ذاته وواحد في ربوبيته وواحد في ألوهيته وواحد في أسمائه وصفاته.

الصمد: هو الذي تصمد إليه الخلائق ويقصدونه في حوائجهم وذلك لكماله جَلَّ وَعَلَا.

الذي لم يلد ولم يولد: وذلك لغناه جَلَّ وَعَلَا.

ولم يكن له كفوا أحد: ليس له نظير وليس له مثيل سبحانه وتقدّس.

هذا الدعاء إنما هو ثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يُذكَر فيه المدعو به، إذا تأملت الآن بماذا دعا الرجل لا نعلم.

وذلك لأن الدعاء ليس مقصودا، المقصود هو الثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ

وفيه أن من يدعو بهذا الدعاء يعني يتوسل في دعائه بهذا الثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ أنه حري أن يُعطى سؤاله وأن يُجاب دعاؤه.

وفي بعض الروايات أن هذا هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى.

نعم

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان رسول الله ﷺ يقول «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر» أخرجه مسلم.

«**اللهم أصلح لي ديني**» يعني أن توفقني لأن أقوم بما أمر الله به وأجتنب ما نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وأقوم به على الوجه الأكمل.

«**الذي هو عِصمة أمري**» يعني ديني هذا هو الذي أعتصم به في جميع أموري فإذا صلح دين المرء اعتصم من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ وعصمه الدين من الوقوع فيما حرم الله.

قال «**وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي**» صلاح الدنيا يكون بحصول الكفاية والاستغناء عن الناس وسلامة هذه الدنيا من الآفات ومن الشرور.

قال «**وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي**» صلاح الآخرة يكون بالنجاة من النار وبدخول الجنة.

ثم قال «**واجعل الحياة زيادة لي من كل خير**» أي بأن تكون هذه الحياة أتزود فيها بالأعمال الصالحات.

«**والموت راحة لي من كل شر**» فيرتاح من الفتَن، ويرتاح من المحن، ويرتاح من البلاء، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الآخر «**وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُون**»

هل هذا الحديث يدل أو قد يشكل على البعض أن في هذا الحديث سؤال الموت وقد ورد النهي عن أن يتمنى الإنسان الموت؟ قال «**لا يتمنينّ أحدكم**

المـوت لضر نزل به، فـإن كان لا محالة فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي»

يقـال هذا الحديث ليس داخلا في النهي؛ لأنه قال «**واجعل الموت راحة لي من كل شـر**»، يعني أنه إذا كان في زمان فتن فإن الإنسان يتمنى أن يموت لأجل أن يسـلم له دينه مـن هذه الفتنة، وهذا مما يسـتثنى فيجوز للإنسـان أن يتمنى الموت في أوقات الفتن، لماذا؟ لأنه يخشى على دينه ويخشى أن يظل فيموت على غير الإسلام أو يموت على معاصٍ وذنوب.

إذن المقصـود أن هذه الجملة من الحديث ليس فيها تمني الموت المنهي عنه؛ لأنه لم يقل أمتني، وإنما قال «**اجعل الموت راحة لي من كل شر**» فهذا مقيد وليس داخلا في النهي.

وعن أبي موسـى الأشـعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ يدعـو «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلـي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهـم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسـررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنـت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» متفق عليه.

قولـه في هذا الدعاء «**اللهم اغفـر لي خطيئتي وجهلي**» الجهل يطلق ويراد به ضـد العلم ويطلق ويراد به عدم الحلـم والبصيرة فيحصل منه الظلم ويحصل منـه الجهل ومـن ذلك قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّـوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]

ليـس المقصود هذا الجهل الذي هو ضـد العلم وإنما بجهالة منه بعاقبتها وإيجابها لسخط الله عَزَّوَجَلَّ وعقابه فحينئذ يُستعاذ من الجهل بهذا المعنى.

قال «**وإسرافي في أمري**» الإسراف مُجاوزة الحد في كل شيء، لهذا قال جَلَّوَعَلَا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]

«**وما أنت أعلم به مني**» فوضَ علم ذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ لأن العبد قد يذنب وينسى أنه قد أذنب والله عَزَّوَجَلَّ لا يخفى عليه شيء.

قال «**اغفر لي جدي وهزلي**» الجد ضد الهزل والهزل أن يعمل الإنسان الشيء أو يقوله من غير قصد، وإنما من باب اللعب ومن باب الضحك والمزاح، ومن المعلوم أن أمور الدين لا يجوز فيها الهزل واللعب، ولهذا من سخر بشيء فيه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أو بدين الإسلام أو بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو بالقرآن فإنه يكفر بإجماع أهل العلم، وإن قال أنا لم أقصد، لأن الهزل في هذه الأمور لا يُقبل أبداً وإنما محلها التعظيم والإجلال.

قال «**خطئي وعمدي**»

الخطأ ما يقع من الإنسان بغير قصد، خلاف العمد، كونه يتعوذ من العمد، أن يخالف أمر الله عَزَّوَجَلَّ عمدا هذا واضح، لكن الخطأ الأصل أنه معفو عنه، لكن بعض الخطأ قد يكون بسبب تقصير في التعلم، وحينئذ لا يُعذر به صاحبه، لأنه قد تهيأت له أسباب العلم وإنما هو قصّر في التعلم أو قصّر في أخذ الاحتياط في بعض الأمور وتساهل وحصل منه الخطأ، فهذا لا يعذر به، ولهذا يستعاذ منه، لأنه يترتب عليه الحساب والمعاقبة.

قال «**وكل ذلك عندي**» هذا أيضاً إقرارٌ بالذنب واعتراف، وعرفنا أن الاعتراف من أسباب قبول الدعاء.

ثم قال «**اغفر لي ما قدمت**» يعني من الذنوب المتقدمة، وما أخرت من الذنوب التي سوف تأتي بعد ذلك، يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفرها له أو أن يعصمه من الوقوع فيها.

«**أنت المقدم**» تقدم من تشاء من عبادك فيتصف بصفات الكمال

«**وأنت المؤخر**» تؤخر أيضا من شئت من عبادك بخذلانه وإبعاده عن رحمتك.

طيب لعلنا نقف على هذا الحديث، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

***

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله.

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما ينفعني» رواه النسائي والحاكم.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد ففي هذا الحديث يقول النبي ﷺ «**اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما ينفعني**»

«**اللهم انفعني بما علمتني**» أي ما علمتني فيما مضى من العلم فاجعله نافعاً وارزقني العمل به واجعله سببًا لخشيتك والقرب منك، لأن العلم إن لم يَعقُبه العمل فإنه لا يكون نافعا.

ثم قال: «**وعلمني ما ينفعني**» يعني علمني -في هذا الزمان الحاضر- علما ينفعني، يعني يكون سببا للقرب من الله عَزَّوَجَلَّ وتحقيق الخشية له سبحانه فيكون من العلم النافع.

ثم قال: «**وَارزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي**» «**عَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي**»: هَذَا فِي الْحَاضِرِ «**وَارزُقْنِي**» يعني في المستقبل.

العلم النافع هو العلم الشرعي، سواء كان يتعلق بالأصول أو بالفروع، وإذا أطلق العلم في الكتاب والسنة فإنما يراد به علم الشريعة، وهو الذي ورد فيه الفضل الذي مر معنا شيءٌ منه.

نعم

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور» رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

في الحديث الأول أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة.

وهذا فيه الإرشاد لأمته أن يُكثروا من الاستغفار، والاستغفار هو طلب المغفرة، وأيضا يسأل ربه جَلَّ وَعَلَا أن يتوب، أستغفر الله وأتوب إليه.

وفي الحديث الآخر قال: «**رب اغفر لي وتب علي**» ما المراد بالتوبة هنا؟ يعني وفقني للتوبة، أو أنني إذا تبت تقبل مني التوبة من الذنب، وهذا لا شك أنه يدل على الحث والترغيب في الإكثار من الاستغفار.

نعم

وعن شدَّاد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدُك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» رواه البخاري في صحيحه.

هذا الحديث حديث عظيم وهو سيد الاستغفار، ومعنى سيد الاستغفار أي أشرفه وأعظمه، وذلك لأنه ورد فيه من المعاني ما لم يرد في أدعية الاستغفار الأخرى، ووجه كون هذا الاستغفار هو سيد الاستغفار وأشرف الاستغفار ما تضمن من الإقرار لله عَزَّوَجَلَّ بالربوبية والألوهية، والإقرار على النفس بالعبودية لله

عَزَّوَجَلَّ، والاعـتراف لله جَلَّوَعَلَا بأنه الخالق، وما تضمن أيضا من إقرار العبد بنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه، والإقرار بذنوبه، وأن الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو الذي يغفر الذنوب.. إلى غير ذلك من المعاني، هذا يدل على أن هذا الاستغفار هو أشرف الاستغفار.

وفي قولـه: «**اللهـم أنت ربـي لا إله إلا أنـت**» هذا فيـه إثبات الربوبيـة وإثبات الألوهيـة، «**خلقتني وأنا عبدك**» هذا يقوله الرجـل أما المرأة ماذا تقول؟ وأنا أمتك، تقول المرأة «**خلقتني وأنا أمتك**».

«**علـى عهدك ووعدك**» على عهدك: يعني ما عاهدتـك عليه، وعلى وعدك أي ووعدتك من الإيمان وإخلاص العمل لك.

«**أعوذ بك من شر ما صنعت**» أي أعوذ بك من الذنوب لأن الذنوب كلها شر.

«**أبوء لك بنعمتك علي**» يعني أعترف بما أنعمت علي من النعم العظيمة «**وأبوء بذنبي**» أي أعترف بذنبي، ومرّ معنا أن الاعتراف بالذنب سبب لمحوه ومغفرته.

ثم قال «**فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»

في قولـه «**وأبـوء بذنبي**» يعني أعترف بذنبي هذا ليس مـن المجاهرة بالذنب في شيء، المجاهرة بالذنب أن العبد يجاهر بذنوبه أمام الناس، وهذا ورد فيه الحديث «**كل أمتـي معافى إلـى المجاهرين**» أما هنا فإنه يبوء بذنبـه يعني أنه يعترف لله عَزَّوَجَلَّ فيمـا بينـه وبين ربه بهذا الذنب، وهذا من باب التوسُّـل بالإقرار والاعتراف بالذنب لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر له.

نعم

***

والآيات والأحاديث في فضل الذكر والدعاء والاستغفار كثيرةٌ معلومة.

وقد رأيتُ جمع ما يسرَ الله تعالى مما صحَّ عن النبي ﷺ من الأذكار والأدعية المشروعة عقب الصلوات الخمس، وفي الصباح والمساء، وعند النوم واليقظة، وعند دخول المنزل والخروج منه، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الخروج للسفر والقفول منه، وقد سميتُها (تُحفة الأخيار ببيان جملةٍ نافعةٍ مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأدعية والأذكار)

مقتصرا على ما صحت به الأخبار عن النبي ﷺ دون غيره، لتكون زاداً للمسلم وعونًا له بمشيئة الله تعالى في المناسبات المذكورة، مع أحاديث أخرى في فضل الذكر والدعاء، مع نصيحتي لكل مسلم ومسلمة بالعناية بالذكر والدعاء في جميع الأوقات، عملاً بما تقدم من الآيات والأحاديث في ذلك، والله أسأل أن ينفعني بها وجميع المسلمين، إنه جوادٌ كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

هذا من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه أنه اعتنى بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وقد التزم ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإذا ذكر حديثا ليس في الصحيحين أو في أحدهما فإنه يعقبه بتخريجه والحكم عليه، وربما في مواضع يسيرة يكتفي بتصحيح غيره، المقصود أنه اعتنى بذكر الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ.

وما تقدم هو كالمقدمة في ذكر الآيات والأحاديث الواردة في فضل الذكر والدعاء، ثم إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سوف يعقد فصولاً للأذكار والأدعية الواردة في مناسبات معينة، كأذكار النوم وأذكار الصباح والمساء ودخول المنزل والخروج منه، إلى غير ذلك، سوف يعقد فصلا لكل ذكر من هذه الأذكار.

نعم

فصلٌ في بيان الأذكار المشروعة بعد السلام في الصلوات الخمس.

لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا سلم من صلاة الفريضة استغفر الله ثلاثا وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجَد منك الجد، لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ويسبح الله ثلاثا وثلاثين ويحمده مثل ذلك ويكبره مثل ذلك، ويقول تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويقرأ آية الكرسي وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس بعد كل صلاة، ويستحب تكرار هذه السور ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب؛ لورود الحديث الصحيح بذلك عن النبي ﷺ، كما يستحب أن يزيد بعد الذكر المتقدم بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، وإن كان إماماً انصرف إلى الناس وقابلهم بوجهه بعد استغفاره ثلاثاً وبعد قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يأتي بالأذكار المذكورة كما دل على ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، منها حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في صحيح مسلم، وكل هذه الأذكار سنة وليست فريضة.

هذا الفصل عقده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الأذكار المشروعة بعد صلاة الفريضة، وقد أجمع العلماء على مشروعية الذكر بعد الصلاة كما حكاه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الأذكار، ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر كلامه: كل هذه الأذكار سنة وليست فريضة.

ومُستند الإجماع على سنية هذا الذكر بعد الصلاة قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها**» أخرجه البخاري.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾

ومما يدلُّ له أيضا من سنة النبي ﷺ أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**» أخرجه البخاري.

وكان من هديه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يأتي بهذه الأذكار بعد الصلاة.

هنا مسألة لها تعلق بما سيأتي وهو أنه يرد في بعض الأدعية والأذكار ذكر «**دبر الصلاة**»، فما المُراد بدُبر الصلاة؟

حاصل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إن كان دبر الصلاة ورد في ذكر فيكون بعد الصلاة، وإن كان ورد في دعاء فيكون قبل السلام، وهذا له مناسبة من جهة أن العبد إذا كان في الصلاة فإنه أقرب إلى ربه ويناجي ربه فناسب أن يدعوه، وأن يسأله، أما بعد الفراغ من الصلاة فالمناسب هو الذكر.

نشرع في ذكر هذه الأذكار الواردة بعد الصلاة كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أول هذه الأذكار ما جاء في حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»

فهذا فيه أنه يستغفر ثلاثا ويأتي بهذا الذكر «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» لكن إذا كان إماماً بعدما يأتي به ينصرف مقبلاً على المأمومين، وهنا خطأ من بعض الأئمة، بعض الأئمة بمجرد ما يسلّم يلتفت.

نقول: السنة أن تبقى مستقبل القبلة بقدر هذا الذكر، بقدر ما تقول: أستغفر الله ثلاثاً اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم تُقبل بوجهك على المأمومين، وهذا لأنه جاء في حديث عائشة عند مسلم قالت: «**كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام**» إلى آخره.

من الأذكار أيضا بعد الصلاة ما في الصحيحين من حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»

ومعنى: لا ينفع ذا الجد منك الجد، يعني لا ينفع ذا الغنى غناه وحظه، إنما الذي ينفعُه عمله الصالح بعد رحمة الله عَزَّوَجَلَّ.

من أذكار ما بعد الصلاة أيضا حديث ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول دُبُر كل صلاة حين يسلّم -يعني بعد الصلاة على ما قرره شيخ الإسلام- «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**» قال ابن الزبير: كان رسول الله ﷺ يهلل بهنّ دبر كل صلاة.

من أذكار ما بعد الصلاة أيضاً التسبيح والتحميد والتهليل وهذا جاء في السنة على عدة وجوه.

الوجه الأول: التسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين والتكبير ثلاثا وثلاثين ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهذه الصيغة هي التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ودل عليها حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- في الصحيح.

من الصيغ أيضا في التسبيح والتحميد والتكبير أن يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبّر أربعا وثلاثين، وهذه دلّ عليها أيضا حديث كعب بن عجرة -رضي الله تعالى عنه- في الصحيح.

أيضا من الصيغ التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين مرة فيكون المجموع تسعا وتسعين مرة، يعني يقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يتم ثلاثا وثلاثين فيكون المجموع تسعا وتسعين، هذه دل عليها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- يعني يروي هذا الحديث، لما سُئل عن كيفية ذكره قال: «**يقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاث وثلاثون**» هذه يقولها الراوي أبو صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من صفات التسبيح أيضا أن يأتي بالتسبيح عشراً والتحميد عشراً والتكبير عشراً، وهذا يدل له ما جاء في سنن أبي داود وغيره عن النبي ﷺ.

ومن صيغ التسبيح أيضا أن يسبح خمسًا وعشرين ويحمد خمسًا وعشرين ويكبر خمسًا وعشرين ويُهلِّل خمسًا وعشرين، وهذا دلَّ له حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند النسائي.

ذكر الشيخ أيضًا من أذكار ما بعد الصلاة أن يقرأ آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين أما آية الكرسي فدلَّ لها ما رواه النسائي في السنن الكبرى عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**»

وأما ما يتعلق بالمعوذتين فجاء حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود وغيره، قال «**أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة**»

وفي رواية عند أبي داود -تنتبه لهذه الرواية- قال: «**بالمعوذات**».

في الرواية الأولى قال بالمعوذتين ما المراد؟ الفلق والناس، طيب بالمعوذات ما المراد؟

هل الإخلاص فيها تعوذ؟ كيف يكون؟ نعم يقال من باب التغليب.

وهذا هو الدليل، وإلا لو قيل ما الدليل على أنه يأتي بسورة الإخلاص في أذكار ما بعد الصلاة؟ هذا هو الدليل، أن المعوذات دخلت فيها الإخلاص تغليبا، ولهذا ذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأذكار قال: ينبغي أن يقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس.

فسورة الإخلاص تدخل في لفظ المعوذات، وإنما سميت معوذات من باب التغليب فأُلحقت بها الإخلاص.

ولفظ المعوذات في بعض الأحاديث ورد يراد به السورة الثلاث، وهذا مُعضد لقولنا إن المعوذات تدخل فيها الإخلاص.

في صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «**أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بها جسده**»

المعوذات ماذا يراد بها عند النوم؟ السور الثلاث، تدخل فيها الإخلاص، جاء هذا صريحا عند البخاري من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «**أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفت فيهما فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس**» إلى آخره.

إذن هذا هو الدليل للإتيان بسورة الإخلاص بعد كل صلاة.

الشيخ -رحمه الله تعالى رحمةً واسعة- ذكر أن هذه السور الثلاث يُسنُّ أن يُؤتَى بها بعد صلاتي المغربي والفجر ثلاث مرات، يأتي بقل هو الله أحد ثلاث مرات والفلق ثلاث مرات والناس ثلاث مرات.

وقال: كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.

ما هي الأحاديث الصحيحة اللي دلت على هذا؟ هل منكم أحد يعرف؟

سيأتي معنا -إن شاء الله تعالى- في أذكار الصباح والمساء أن الإنسان يأتي بهذه السور ثلاث مرات صباحا ومساء، لكن الكلام ما الدليل على أنه يأتي بها بعد صلاة المغرب ثلاث مرات وبعد صلاة الفجر ثلاث مرات؟

ممكن يُحمل -طبعا هذا حسب فهمنا القاصر والشيخ عالم وإمام- ربما أن الشيخ وقف على دليل دل على ذلك لم نقف عليه لقصورنا وضعفنا، هذا أمر يحتاج منا مزيد بحث.

وإما أن يقال إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد بذلك أنه بعد صلاة الصبح، أليس هذا وقتا لأذكار الصباح وبعد صلاة المغرب أليس هذا قولا عند جماعة من العلماء أن هذا وقت أيضاً للأذكار أذكار المساء؟ فيمكن من هذا الباب أن يأتي بها بعد الصلاة لأنها من أذكار الصبح والمساء، وإلا فإنا لا نعرف دليلاً خاصاً بذلك.

وثمرة المسألة -حتى تتضح- لو أن شخصاً أتى بأذكار المساء بعد صلاة العصر وأتى بهذه السور الثلاث ثلاث مرات، على كلام الشيخ إذا صلى المغرب ماذا يفعل؟ يأتي بها ثلاث مرات، انتبه، على كلام الشيخ قيدها بالصلاة، ولم يقُل إنها من أذكار الصباح والمساء، هذه ثمرة الخلاف، فنحتاج إلى دليل يخصص الإتيان بها ثلاث مرات بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الفجر.

كما قلت، لعل الشيخ وقف على دليل لم نقف عليه لقصورنا.

ولهذا فإن الشيخ المحدّث عبد المحسن العبّاد -وفقه الله وحفظه- في شرحه لسنن أبي داود ذكر كلاما حول هذه المسألة، قال: ولم أعرف ما هو الدليل على هذا، والشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف بعنايته بالآثار وبالحديث وتعويله

على الأدلة، إذن يحتاج منا إما لمزيد بحث للنظر وإن لم نجد دليلا فالأصل هو اتباع الدليل، فهذا هو الذي تعلمناه من الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن مشايخنا بل مشايخ السنة كلهم يدعون إلى اتّباع الدليل إذا ظهر للعبد، وإذا لم يظهر الدليل فإنه يتبع ما هو عليه مما يعتقده، أما ما لم يدل عليه دليل فإنه لا يعمل به، وهذا مشهور معروف عند الأئمة فإنهم يوصون بهذا.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربما خالف مشايخه في مسائل لأنه لم يظهر له فيها الدليل.

هناك مسألة أيضًا ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي مسألة قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب، عشر مرات، وهذه دل عليها حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**من قال إذا صلى الصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد هو على كل شيء قدير عشر مرات..**» انظر إلى الفضل المرتب على الإتيان بهذا الذكر عشر مرات قال «**كانت له عدل أربع رِقَابٍ، وكُتِبَ له بِهِنَّ عَشر حَسَنَاتٍ ومُحي عنه بِهِنَّ عَشر سيئاتٍ، ورفع له بِهِنَّ عَشر دَرَجَاتٍ، وكُنَّ له حَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمسِي، وإذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك**».

وهذا الحديث حسّن سنده أيضًا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح.

جاءت زيادة عند الترمذي «**يحيي ويميت**»

«**لا إله إلا الله وحده لا شريك لا له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**».

نعم

***

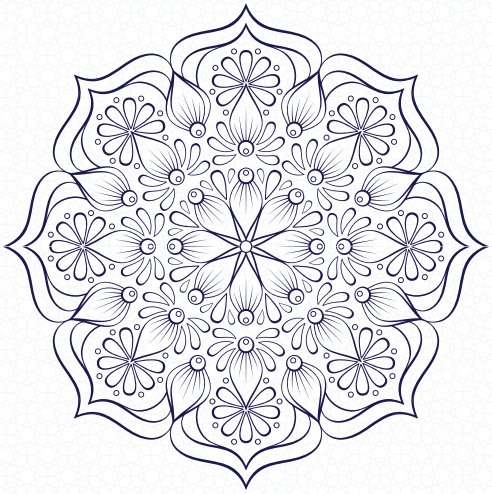

فصلٌ في أذكار الصباح والمساء

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثلما قال أو زاد عليه» رواه مسلم.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضا: أصبحنا وأصبح الملك لله» رواه مسلم.

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال «ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» رواه البخاري.

وعن عبد الله بن خُبيب قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: «قل» فلم أقل شيئا، ثم قال «قل» فلم أقل شيئا، ثم قال «قل» فقلت يا رسول الله ما أقول؟ قال «قل: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وإسناده عند أبي داود وابن ماجة صحيح.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله مُرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: «قل: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم» قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»

رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والبخاري في الأدب المفرد بإسناد صحيح، وهذا لفظ أحمد والبخاري.

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء» رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي حسنٌ صحيح وهو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعن ثوبان خادم النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد مسلم يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة»

رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة بإسناد حسن، وهذا لفظ أحمد، ولكنه لم يسمّ ثوبان، وسماه الترمذي في روايته، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة بلفظ أحمد.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة»

وروى مسلم في صحيحه أيضا عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا»

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك: أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعا أعتقه الله من النار» رواه أبو داود بإسناد حسن، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن ولفظه «من قال حين يصبح اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه ذلك اليوم من النار، فإن قالها أربع مرات أعتقه الله من النار»

وعن عبد الله بن غنّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته» رواه أبو داود، والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن، وهذا لفظه، لكنه لم يذكر حين يمسي، وأخرجه ابن حبان بلفظ النسائي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح، «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني

أسـألك العفو والعافيـة في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم اسـتر عوراتي وآمن روعاتـي، اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شـمالي ومن فوقـي، وأعـوذ بعظمتـك أن أغتال من تحتـي» خرّجـه الإمام أحمد في المسـند وأبو داود والنسائي وابن ماجة وصححه الحاكم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات حين يصبح كتب الله له مئة حسـنة ومحى عنه مئة سـيئة وكانت له عدل رقبة وحفظ بها يومئذ حتى يمسي، ومن قالها مثل ذلك حين يمسي كان له مثل ذلك» رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن.

وعنـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضـا قـال النبـي ﷺ «من قال إذا أمسـى ثلاث مـرات أعوذ بكلمات الله التامات من شـر ما خلق لم تضره حُمَةٌ تلك الليلة» رواه الإمام أحمد والترمذي بإسناد حسن.

والحُمَة سم ذوات السموم كالعقرب والحيه ونحوهما.

وأخرج مسـلم في صحيحه عن خولة بنت حكيـم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسـى: «أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسـلما وما كان من المشركين» خرّجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبتِ إني أسـمعك تدعو كل

غـداة «اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سـمعي اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت»

تعيدها ثلاثا حين تصبح وثلاثا حين تمسـي وتقـول «اللهم إني أعوذ بك من الكفـر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت» تعيدها حين تصبح ثلاثـًا وحين تمسـي ثلاثـًا، قال نعم يا بُني إني سـمعت النبي ﷺ يدعـو بهن فأحب أن أستنّ بسنته.

رواه الإمـام أحمـد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسـائي بإسـناد حسن.

ويُشـرع لكل مسـلم ومسـلمة أن يقول في صباح كل يوم لا إله إلا الله وحده لا شـريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شـيء قدير مئة مرة، حتى يكون في حرز من الشـيطان يومه ذلك حتى يمسـي لما تقـدم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شـيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشـر رقاب وكُتِبَت له مئة حسـنة ومُحيت عنه مئة سـيئة وكانت له حرزاً من الشـيطان يومه ذلك حتى يمسـي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك، ومن قال سـبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فصلٌ في أذكار الصباح والمساء.

الصبـاح -كمـا ذكـر ابن القيـم رَحِمَهُ اللَّهُ في الوابـل الصيب- هو مـا بين الصبح وطلوع الشمس، يعني ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس هذا وقت أذكار الصباح.

وأما أذكار المساء فتقال ما بين العصر والمغرب.

وبعض العلماء يمد في وقت أذكار المساء إلى أول الليل، والأمر في هذا واسع إن شاء الله.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من أذكار الصباح والمساء، كون المسلم والمسلمة يحافظ على هذه الأذكار جميعا، يعني كل ما صح عن رسول الله ﷺ من أذكار الصباح والمساء يأتي بها كاملة لا شك أن هذا هو الأكمل وهو الأولى وهو الأعظم للأجر والأكمل في حصول الحفظ للعبد.

ولكن إذا ضاق عليه الوقت فلا أقل من أن يأتي ببعض هذه الأذكار، وأما أن يتركها فلا يأتي بشيء منها فهذا لا شك أنه تفريط وحرمان.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذكر الأول أن يقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة.

مر معنا معنى التسبيح وأنه إذا قرن بالحمد له معنى آخر.

إذا قال هذا الذكر مائة مرة قال «**لم يأتِ أحد يوم القيام بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**» هذا الذكر بخصوصه يستثني من الضابط الذي مر معنا وهو أن الذكر المقيد إذا حدّد بعدد معيّن فإنه لا يزاد عليه ولا يُنقص منه.

لكن هنا: قول سبحان الله وبحمده لو زاد على مائة مرة في الصباح والمساء فإن هذا مستثنى وجائز، وعرفنا أنه إذا زاد لا يلتزم عددا معيّنا زائدا، بل يزيد ما شاء الله له.

جاء فضلٌ لهذا الذكر صباحا ومساء عند ابن حبان في صحيحه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده مائة مرة وإذا أمسى مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر**»

ثم إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الذكر الثاني «**أمسينا وأمسى الملك لله..**» إلى آخره.

أمسى يعني دخل في وقت المساء، يعني دخلنا في وقت المساء وصرنا فيه نحن وجميع الملك لله عَزَّوَجَلَّ، والمعنى أن الملك لله عَزَّوَجَلَّ دواماً وأزلاً، يعني كان ودام الملك لله عَزَّوَجَلَّ.

جاء في هذا الذكر أنه قال «**والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها**»

كل هذا واضح «**رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر**» تنتبه هنا إلى أنه لم يقل: أعوذ من الكبَر، وإنما استعاذ من سوء الكبر؛ لأن الإنسان قد يكبر وهو في قواه ولم يحصل له ما يسوء، وإنما استعاذ من سوء الكبر؛ لكون سوء الكبر ليس له دواء، فهو داء ليس له دواء فإنه يورث ذهاب العقل وضعف القوى وغير ذلك مما تسوء به الحال.

قوله «**وإذا أصبح قال ذلك**»

يعني إذا دخل في الصباح يقول هذا الذكر أيضاً ولكن يبدل قوله أمسينا وأمسي الملك لله يقول أصبحنا وأصبح الملك لله، ويعدل الضمائر على وفق ذلك.

الذكر الذي بعده: سيد الاستغفار وهذا مر معنا، لكن فيه فضيلة وهو أن من قال هذا الذكر موقناً به حين يصبح فمات قبل أن يُمسي فإنه يكون من أهل الجنة، وكذا إذا قاله حين يمسي فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة.

وهذه فضائل عظيمة.

أيضا من الأذكار التي تُقال في الصباح والمساء:

الإتيان بالمعوذتين كما في حديث عبد الله بن خبيب، وقد ذكره النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رياض الصالحين، قال عن عبد الله بن خُبيب بضم الخاء المعجمة، وهذا مفيد

لـك في ضبـط الأسـماء لأن الضبط بالتنقيط قـد يحصل فيه خطـأ وتصحيف، لكن إذا ضبطـت بالكتابة كمـا قال النووي هنا، قال: بضم الخـاء المعجمة لم يعد عندنا احتمال أن فيه خطأ.

في هـذا الحديـث حديـث عبدالله بـن خُبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنـه يـأتي بالمعوذتين في الصباح والمسـاء والفضل المرتب على قراءتهما قال: تكفيك من كل شـيء، يعني تكفيك من كل شيء مما تكرهه وتخاف منه.

ثـم ذكر أيضـا حديث «**إذا أصبح أحدكم فليقُل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسـينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقُل: اللهم بك أمسينا..**» إلى آخره.

هذا الحديث صححه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وأيضا صححه ابن القيم في زاد المعاد.

«**اللهـم بك أصبحنا**» أي بك دخلنا في وقـت الصباح، أي أن الله هو الذي أبقانا إلى أن أصبحنا، ومثله «**وبك أمسـينا**»، أي أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أحيانا حتى دخلنا في وقت المساء.

«**وبـك نحيا**» أي أن بقاءنا بالله عَزَّوَجَلَّ فهو الذي أنعم علينا بما تحصل به الحياة من طعام وشراب ولباس وغير ذلك.

«**وبك نموت**» أي أنك أنت الذي تميتنا.

ثم قال «**وإليك النشـور**» النشـور هو البعث بعد الموت، وهنا فيه مناسبة، لأن النوم هو أخو الموت فهو موتة صغرى، فإذا أفاق الإنسـان أو اسـتيقظ من نومه ففيه شبه بالنشور، القيام من الموتة الكبرى.

وفي المسـاء قال «**وإليك المصير**» يعني إليك المرجع، هذا مناسـب أيضًا للمساء، لأنه سـوف ينام في الليل فيكون مصيره إلى النوم، وأيضًا نحن جميعًا مصيرنا إلى الله جَلَّوَعَلَا أننا نموت ونبعث يوم القيامة.

مـن الأذكار أيضًـا التي ذكر الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «**اللهم فاطر السـماوات والأرض عالم الغيب والشهادة..**» إلى آخره

قوله «**اللهم فاطر السماوات والأرض**» أي موجدهما على غير مثال سابق.

«**عالم الغيب والشهادة**» أي أنه جَلَّ وَعَلَا يعلم ما غاب عن العباد وما ظهر لهم.

«**رب كل شـيء ومليكه أشـهد أن لا إله إلا أنت**» شهادة لله عَزَّوَجَلَّ بأنه لا معبود بحق سواه.

«**أعوذ بك من شـر نفسي**» يستعيذ من شـر نفسه لأن النفس أمارة بالسوء «**ومن شر الشيطان**» يعني من وساوسه وإغوائه وإضلاله.

«**وشركه**» هذه ضبطت بضبطين الضبط الأول بكسر الشين وسكون الراء وهذا الضبط هو الأشهر، وشِرْكه ويكون المعنى وشر الشيطان وشركه يعني وإشراكه، ما يسول لي بالإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ.

والضبـط الثـاني بفتحتين وشَـرَكه، يعني حبائلـه ومصائده وما يفتن بـه العباد، وعلى التقديرين الضبط الأول والثاني يكون قوله ومن شر الشيطان وشركه العطف هنا عطف خاص بعد عام.

قـال: «**قلـه إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسـيْت وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجعَـكَ**» فهذا فيه أن هذا الذكر أيضا يُقال متى؟ من أذكار النوم أيضا.

ثم ذكر الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «**بسـم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**» يقوله ثلاث مرات يقول: «**لا يضره شيء**»

هـذا الذكر جـاء عن أبان بن عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال سـمعت عثمان، أباه، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول سـمعت رسـول الله ﷺ يقول «**مَن قال بسـم الله الذي لا يضرُّ مع اسـمه شيءٌ**

في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاءٍ حتى يمسي» قال فأصاب أبان -وهو راوي الحديث- أصابه الفالج، ما هو الفالج؟ الشلل النصفي شلل نصفي يعطل نصف البدن، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، قال أبان: ما لك تنظر إلي؟ فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على النبي ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت فنسيت أن أقولها.

وإلا لو قالها موقنا بها فإنها تنفعه بإذن الله -جل وعلا.

جاء في بعض الروايات أنه قال: لم أقله يومئذ ليمضي الله قدَره.

فالله عَزَّوَجَلَّ إذا قدر أمرا لا بد أن يقع.

إذن هذا الحديث فيه فضيلة هذا الذكر.

قوله فيه «**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء**» بسم الله يعني أستعين وأتحفظ بسم الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع لأقوالنا العليم بأحوالنا، هذا أيضا فيه إثبات اسمي السميع والعليم لله عَزَّوَجَلَّ.

وهذه فائدة تعلق باسم السميع، السميع له معنيان، المعنى الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت فالله عَزَّوَجَلَّ لا يخفى عليه شيء، كل صوت فالله جَلَّوَعَلَا يسمعه مهما بعُد ومهما ضعف.

والمعنى الثاني للسمع: أي سميع الدعاء، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي مجيب الدعاء.

والمصلي يقول سمع الله لمن حمده يعني أجاب الله وأثاب الله من حمده.

«**يقوله ثلاث مرات**» قال بعض الشراح: متواليات أو متفرقات، لكن الأولى أن يأتي بها متوالية ليحصل له الحفظ، يعني أن يبادر بها ليحصل له كمال الحفظ.

قال: «**لم تصبه فجأة بلاء**» عرفنا أن الفجأة يعني أن يأتي البلاء بغتة بغير مقدمات.

ذكر الشيخ أيضا حديث ثوبان خادم النبي ﷺ وهذا الذكر فيه أنه يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات «**رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا**»

الثواب لمن قاله: قال «**كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة**» وهذا من باب الجزاء من جنس العمل، كما أنه رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ومحمدٍ ﷺ رسولًا ونبيا فإن الله عَزَّوَجَلَّ يرضيه.

طبعا جاء في بعض الروايات «**وبمحمد رَسُولا**» قال النووي يجمع بينهما فيقول: وبمحمد نبيا رسولا، بل قال حتى لو أتى بالعطف، قال بعض الشراح لو أتى بالعطف نبيًّا ورسولا؛ لأن هذا ورد وهذا ورد، ولا شك أن هذا أكمل، يعني الرضا به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبيًّا ورسولا.

ذكر الشيخ أيضا حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة**» هذا ليس فيه أنه من أذكار الصباح والمساء، لكن فيه الفضيلة المرتبة على الإتيان بهذا الذكر وهو أنه تجب له الجنة.

وجوب الجنة إما أن تجب له الجنة فيدخلها ابتداء من غير سابق عذاب وإما أن يسبقها عذاب ثم بعد ذلك يدخل الجنة إذا كان عنده كبائر لم يغفرها الله عَزَّوَجَلَّ له ولم يتُب منها.

ثم ذكر الشيخ أيضا حديث العباس بن عبد المطلب أن النبي ﷺ قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا بالإسلام دينا وبمحمد رسولا**»

هذا أيضا فيه فضيلة الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا، وأن هذا من مقتضيات الإيمان.

ثم ذكر أيضا حديث «**اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك..**» إلى آخره وأن من قاله مرة أعتق الله ربعه من النارؤ مرتين نصفه، ثلاث مرات ثلاثة

أرباعه، وإذا قاله أربع مرات أعتقه الله كله من النار.

هذا الحديث حسنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد.

ثم ذكر أيضا حديث «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر**» إذا أتى بهذا الذكر يقول النبي ﷺ «**فقد أدى شكر يومه**» إذا قاله في الصباح، وإذا قاله في المساء «**فقد أدى شكر ليلته**»

ولا شك أن هذا فضل عظيم، أن الإنسان يأتي بهذا الذكر اليسير ويُثاب بهذا الثواب العظيم أنه قد أدّى شكر يومه وشكر ليلته، ولهذا الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تُحفة الذاكرين يقول: وفي الحديث فضيلة عظيمة ومنقبة كريمة، حيث تكون تأدية واجب الشكر بهذه الألفاظ اليسيرة القليلة، وأن قائلها صباحا قد أدّى شكر يومه وقائلها مساء قد أدّى شكر ليلته.

ذكر أيضا حديث «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي**»

العافية في الدين تشمل العافية من فتن الشبهات ومن فتن الشهوات، والعافية من هذه الفتن لا تكون إلا بعلم تدفع به الشبهات وتوفيق تدفع به الشهوات.

«**اللهم عافني في ديني**» يعني أن أسلم من فتن الشبهات كيف أسلم منها؟ بعلم نافع وأن أسلم من فتن الشهوات، هذه لا تكون إلا بتوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ أن أعمل صالحًا وأن أجتنب ما يغضب الله.

قال «**وَدُنيَايَ**» العافية في الدنيا تكون بالسلامة مما فيها من الشرور والبلايا والأمراض والأحزان ونحوها.

قال «**وَأَهْلِي وَمَالِي**» العافية في الأهل تكون في ماذا؟ أولا في حفظ دينهم هذه أهم عافية تكون لأهلك أن يحفظهم الله عَزَّوَجَلَّ في دينهم، وأن يحفظهم الله عَزَّوَجَلَّ في دنياهم من الأمراض والبلايا ونحو ذلك.

«**ومالي**» أن يحفظ المال أيضا من الضياع والسرقة وغير ذلك من الآفات.

«**اللهم استر عوراتي**» يسأل ربه أن يستر عوراته بأن يستر أعماله القبيحة وذنوبه التي فعلها فلا يفضحه الله عَزَّوَجَلَّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأيضا يدخل في سؤال ستر العورات ستر العورة الحقيقية بأن يُهيئ الله عَزَّوَجَلَّ له لباسًا يتجمل به.

قال «**وآمِن روعاتِي**» يؤمِّنه الله عَزَّوَجَلَّ من روعات الدنيا وحوادثها وفزعها، وأيضًا يؤمِّنه من روعات يوم القيامة وهذا هو الأعظم، إذا أمنك الله عَزَّوَجَلَّ مما يروعك يوم القيامة من العذاب والأهوال فإن هذا أعظم ما يكون من الأمن.

ثم قال «**اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي..**» إلى آخره، قال بعد ذلك «**وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**» يعني أنه يلتجئ إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويعتصم به ألا يُغتال من تحته، يعني من حيث لا يشعر كالخسف كما خسف الله عَزَّوَجَلَّ بقارون، وهذا فيه أن العذاب الذي يكون من أسفل الإنسان أنه يكون أشد ما يكون، ولذا استعاذ منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعظمة الله عَزَّوَجَلَّ قال «**وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكِ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»

العذاب لو جاء للإنسان من أمامه أو من خلفه ربما أنه يفر منه لكن إذا جاء من أسفل منه ما له حيلة في الخلاص منه.

ذكر بعد ذلك حديث «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» قال «**من قالها عشر مرات حين يصبح**» هذا مر معنا أيضا، واضح الكلام عليه.

ثم ذكر أيضا «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» قال «**لم يضره حُمَة تلك الليلة**»

وفسرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال الحُمَة هي سُمٌّ ذواتِ السُّمومِ كالعقربِ والحيَّةِ ونحوِها.

هذا الحديث يرويه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «**من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره حمة تلك الليلة**» قال سهيل الراوي: فكان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها كل ليلة، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم فلم تجد لها وجعا.

الحديث قال: لَمْ تَضُرَّهُ، ولم يقول لم يصبه، لأنه قد يُلدَغَ الإنسان لكن ما تَضُرَّه، وهذا لا شك أنه مطلب، قد يتعرض الإنسان لبعض اللدغ من حيّة أو من عقرب أو نحوها لكنه يسلم، لا شك أن هذا مقصد عظيم.

أيضًا جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحة.

قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك**»

طيب هذا الذكر للصباح والمساء أو خاصٌ بالمساء؟ خاصٌ بالمساء.

لا بد من التقييد، نرجع إلى القاعدة أن ما قُيّد يلتزم بتقييده، فلا يقال هذا الذكر في الصباح لعدم ورود الدليل عليه.

في قوله «**أعوذ بكلمات الله التامات**» دليل لأهل السنة والجماعة على أن كلام الله عَزَّوَجَلَّ ليس مخلوقا؛ لأنه لو كان مخلوقا فإن المخلوق لا يستعاذ به.

ما يستعيذ الإنسان بمخلوق، وإنما يستعيذ بالله عَزَّوَجَلَّ أو بصفة من صفاته، فهذا دليل أهل السنة والجماعة في ذلك.

وقوله «**من شر ما خلق**» ما هنا موصولة، يعني من شر الذي خلق، هذه تفيد العموم، لكن هل هذا عموم غير مقيد أو مقيد؟

هل كل مخلوق خلقه الله عَزَّوَجَلَّ فيه شر؟ أم أن هناك مخلوقات ليس فيها شر؟ نعم يقال هذا يراد به العموم المقيد بوصف، لا العموم المطلق، فيكون المعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من كل ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ، لأن الجنة ليس فيها شر، والملائكة والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ليس فيهم شر.

ذكر الشيخ أيضا من نزل منزلا فقال: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»

تنتبه إلى أن هذا لا علاقة له بأذكار الصبح والمساء وإنما يتعلق بنزول المنزل، لكن العلاقة أنه نفس الذكر، هنا كالذي قبله قال «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء**» هنا قال «**من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»

هذا أخرجه مسلم بهذا اللفظ الذي ذكره الشيخ وأخرجه الإمام أحمد بلفظ: «**ثلاثا**» يعني يقول هذا الذكر ثلاث مرات.

أيضاً ذكر «**أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**»

«**أصبحنا على فطرة الإسلام**» معنى فطرة الإسلام يعني على الدين الحق.

«**وعلى كلمة الإخلاص**» هي كلمة التوحيد.

«**ودين نبينا محمد ﷺ**» قال بعض الشراح: هذا أخص مما قبله، قال وعلى كلمة الإخلاص، كلمة الإخلاص يدعو إليها جميع الأنبياء، يدعون إلى

الإسلام بمعناه العام، توحيد الله جَلَّوَعَلَا ولكن ذكر التخصيص فقال: ودين نبينا محمد ﷺ، فهو أخص مما قبله، ودينه الإسلام بمعناه الخاص.

قال «**حنيفا مسلما**» الحنيف هو المائل إلى الدين الحق، المائل عن الشرك إلى الإسلام والتوحيد «**حنيفا مسلما وما كان من المشركين**» قالوا هذا فيه رد على كفار العرب في قولهم نحن على دين أبينا إبراهيم مع أنهم كانوا على الشرك، هنا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخبر أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن من المشركين.

ثم ذكر أيضاً «**اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي..**» إلى آخره، هذا أيضاً مما يقال في الصباح وفي المساء.

قوله «**اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري**» أليس يدخل في المعافاة في البدن؟

إذن هو تخصيصٌ بعد تعميم، لماذا خص السمع والبصر؟ لشرفهما.

قالوا: إن السمع يحصل به سماع الآيات الشرعية والبصر يحصل به النظر في الآيات الكونية، فيحصل له بذلك زيادة العلم والإيمان.

ثم قال «**لا إله إلا أنت، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت**»

ثم ذكر الشيخ أيضاً قال: يُشرع لكل مسلم ومسلمة.. إلى آخر كلامه.

ذكر ذِكر من قال «**لا إله إلا الله وحده ولا شريك**» هذا تقدم معنا أيضاً الكلام عليه.

***

فصلٌ فيما يقال عند دخول المنزل.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» رواه مسلم.

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المَولج وخير المَخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله» أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

هذا الفصل عقده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لأجل بيان الذكر عند دخول المنزل، وحاصل ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا دخل المنزل يذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه إذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قال الشيطان: لا مبيت لكم، وإذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عند طعامه وشرابه قال الشيطان: ليس لكم مبيت ولا عشاء، وأما إذا لم يذكر الله عَزَّوَجَلَّ فإن الشيطان يشاركه في منزله وفي طعامه وشرابه.

والمقصود أنه إذا دخل بيته يذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

الحديث الذي ذكره الشيخ قال «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى..**» هذا أخرجه مسلم.

جاء عند الإمام أحمد بلفظ «**إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل..**» وأما الحديث الثاني حديث أبي مالك الأشعري يقول «**إذا ولج الرجل**» يعني دخل.

«**اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج**» يعني خير المدخل وخير المخرج.

«**بسم الله ولجنا**» يعني ندخل البيت مستعينين بسم الله عَزَّوَجَلَّ متبركين باسمه جَلَّوَعَلَا، وكذلك في قوله «**وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا**» ثم يسلم على أهله، يعني استحبابا، فهذا من أذكار دخول المنزل.

هذا الحديث -كما قال الشيخ- رواه أبو داود بإسناد حسن، وصحّحه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأيضا حكم عليه المباركفوري في مرعاة المفاتيح بأنه حديث لا ينزل عن درجة الحسَن.

***

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصلٌ فيما يقال عند الخروج من المنزل إلى المسجد أو غيره.

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له حينئذ: كفيت ووقيت وهديت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووقي» رواه أبو داود والنسائي والترمذي بإسناد حسن.

وقالت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء وقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي»، ورواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، وهذا لفظ أبي داود، وإسناده صحيح.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد، هذا الفصل عقده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الذكر الذي يكون عند الخروج من المنزل سواء أراد الذهاب إلى المسجد أو إلى غيره، وهو أن يرفع طرفه أي نظره إلى السماء ويقول «**بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أضَل، أو أزِل أو أُزَل، أو أظلِم أو أُظلَم، أو أجهل أو يُجهل عليّ**»

قد دل على هذا الذكر هذان الحديثان اللذان ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الحديث الأول حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكّلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت ووقيت وهديت**» هنا يوجد لفّ

ونشـر كما يقولون، كل كلمة من هذه الكلمات الثلاث ترجع إلى جملة من الجُمل التي قالها من خرج من منزله.

إذا قال: بسم الله هذه استعانة بسم الله عَزَّوَجَلَّ فيناسبها الهداية، يقال له هديت.

توكلت على الله هذا يناسبه أن يقال كفيتَ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

وأمـا قولـه ولا حول ولا قوة إلا بالله فهذا يُناسـبه أن يُقال له وُقيت يعني وُقيت من كل شر.

قـال: وتنحّى عنه الشـيطان، فيقول لشـيطان آخر: كيف لـك -يعني كيف لك بإضلال رجل- قد هُدِي وكُفِي ووُقِي.

وفي حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيه استحباب أن يرفع الخارج من منزله نظره إلى السـماء ثم يأتي بهذا الذكر لقولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**ما خرج رسـول الله ﷺ من بيته قط إلا رفع طرفه يعني نظره وبصره إلى السماء وقال**» إلى آخره.

وفي قولهـا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**ما خرج رسـول الله ﷺ من بيته قـط إلا..**» إلى آخره، هذا يدل على المداومة منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالإتيان بهذا الذكر.

وفي قوله «**اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل**» أي أضل أنا عن الحق أو أُضَل من قِبل غيري فيضلني عن الحق، أو أزِل أنا أو أزَل من قِبل غيري أو أظلِم غيري أو أظلَم من قبل غيري.

أو أجهَـل أو يُجهـل عليّ، يعني أن أفعل ما هو جهالة وإيذاء وإضرار بالناس أو أن يُفعـل ذلك بي من قِبل الجُهال، ومناسـبة هـذا الذكر عند الخروج من المنزل أن الإنسان إذا خرَج من منزله فإنه لا بد أن يخالط الناس وأن يباشِر الأمور فربما حصل منـه ظلم أو حصل عليه ظلم، أو حصـل منه زلل أو حصل عليه زلل إلى آخر ما هو ممكن أن يقع فناسب أن يُدعى بهذا الدعاء.

فصلٌ فيما يُشرع عند دخول المسجد والخروج منه.

عن أبي حُميد أو أبي أُسَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلّم على النبي ﷺ وليقُل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقُل: اللهم إني أسألك من فضلك» رواه مسلم وأبو داود واللفظ لأبي داود.

وعن عبد الله بن عمر وأبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أنه كان إذا دخل المسجد قال «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم» خرّجه أبو داود بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» أخرجه ابن ماجة بإسناد صحيح.

هذا في الذكر الذي يكون عند دخول المسجد والخروج منه، جاءت فيه عدة أحاديث، وفي بعضها زيادات فتنتبه أنت للزيادات، اللفظ الذي ذكره الشيخ أخرجه مسلم بلفظ «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**» هذا ثابت في صحيح مسلم، ورواه أبو داود باللفظ الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ «**إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك.**

وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»

هذا اللفظ أخرجه أبو داود.

ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه: واللفظ لأبي داود.

وهـذا اللفظ الذي عند أبي داود قـال عنه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خلاصة الأحكام: إنه صحيح، وأيضا أخرجه البيهقي في السـنن الكـبرى بهذا اللفظ أيضا وقال: ولفظ التسليم فيه محفوظ.

لأن التسليم ما جاء عند مسلم، انتبه لهذا، قال البيهقي: التسليم فيه محفوظ.

أيضـا أخرجـه ابن حبان مـن حديث أبي هريـرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**فليسـلم على النبـي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسـلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم**»

وهذا سـيأتي نحوه في كلام الشـيخ «**اللهم اعصمني من الشـيطان الرجيم**» عند الخروج.

أيضا جاء عنده الترمذي وحسـنه الترمذي، يعني بشـواهده، إذا دخل المسجد صلى على رسـول الله ﷺ إذا دخل المسـجد قال: «**اللهم صلِّ على محمدٍ وسـلم وقال: ربِّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: اللهم صلِّ على محمدٍ وسلم، وقال: ربِّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك**» هذا عند الترمذي وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

المقصـود أنـك تنتبه للزيادات فتضـم بعضها إلى بعـض، والنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم وكذا في الأذكار ضم هذه الزيادات بعضها إلى بعض وبين ما الذي يقال عند الدخول وعند الخروج من المسجد.

من الزيادات أيضا عند ابن السني في عمل اليوم والليلة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «**بسم الله، اللهم صل على محمد، وإذا خرج قال: بسم الله، اللهم صل على محمد**» وحسّنه الألباني.

ما السرّ في تخصيص ذكر الرحمة بالدخول والفضل بالخروج؟

المعلوم أنه إذا دخل المسجد سوف يتعرض لرحمة الله عَزَّوَجَلَّ، فناسب أن يقول افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج سوف يتعرض لفضل الله عَزَّوَجَلَّ بالبيع والشراء ونحو ذلك، فناسب أن يقول أبواب فضلك، وأيضا يناسب اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم أو: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم، وإن كان هذا قد يدخل فيها أيضا عند الدخول فقد يضله الشيطان.

ذكر بعد ذلك حديث ابن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه كان إذا دخل المسجد قال «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**» فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم.

هذا أخرجه أبو داود كما قال الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ بإسنادٍ حسن وأيضا حسنه النووي في خلاصة الأحكام، قال حديث حسن رواه أبو داود بإسنادٍ جيد.

هذا الحديث فيه الاستعاذة، يعني توسَّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأسماء وصفاته أن يعيذه من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم كل هذا من باب التوسل، ثم جاءت الاستعاذة وهي الطلب، طلب اللجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيذه من الشيطان.

ذكر الشيخ أيضا أنه «**إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**»

وهذا تقدم الكلام عليه.

***

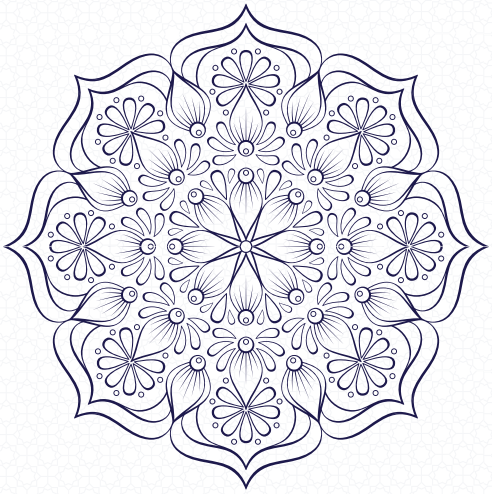

فصلٌ فيما يشرع من الذكر والدعاء عند النوم واليقظة.

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول «اللهم باسمك أموت وأحيا» وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» رواه البخاري، وأخرج عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثله، وأخرج مسلم عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل حديث حذيفة المذكور.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد قل أعوذ برب الفلق قل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قد أتاه آتٍ يحثو من الصدقة، وكان قد جعله النبي ﷺ عليها، ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية، فإنه لا يزالُ عليك مِنَ اللهِ حَافِظ وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِح، فقال النبي ﷺ «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان» رواه البخاري.

وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» متفق عليه.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول الله ﷺ «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك

الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك مِت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «واجعلهن من آخر كلامك».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه «اللهم رب السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أن تأخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنّا الدين وأغننا من الفقر» رواه مسلم.

وعن حفصة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاث مرات.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي» أخرجه مسلم.

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فاحفظها، وَإِنْ أَمَتّهَا فاغفر لَهَا، اللهم إني أسألك العافية» قال ابن عمر: سمعته من رسول الله ﷺ.

خرّجه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فإنه لا يعلم ما خلَفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: سبحانك اللهم

ربي بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» متفق عليه واللفظ لمسلم.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أتت النبي ﷺ تسأله خادما فلم تجده، فأخبرَتها.

قال علي: فجاءنا النبي ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال: «ألا أدلُّكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين، فإنه خيرٌ لكما من خادم» قال علي: فما تركتُهن منذ سمعتُهن من رسول الله ﷺ. متفق عليه.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «من تعارَّ من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب لَهُ، فَإِنْ تَوَضأ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» رواه البخاري.

ومعنى قوله: «من تعار» أي استيقظ.

هذا الفصل فيه ما يتعلق بأذكار النوم وأيضا أذكار الاستيقاظ ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جملة من هذه الأذكار أولها أن يقول «**اللهم باسمك أموت وأحيا**» في بعض الألفاظ «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»

أي أنت الذي تحييني وأنت الذي تميتُني.

وإذا استيقظ يقول «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا**» لأن النوم موت أصغر كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ، والاستيقاظ بعده حياة؛ ولهذا ناسب أن يقول «**وإليه النشور**»

ثم ذكر الشيخ أيضاً حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد..**» إلى آخره

هذا الحديث فيه إشكال في قوله جمع كفيه ثم نفث فيه ما فقرأ ما هو الإشكال؟ أن النفث في ظاهر الحديث قبل القراءة ومن المعلوم كما في أحاديث أخرى أن القراءة يكون بعدها النفث، ومن جهة المعنى أن النفث يكون فيه البركة بعد القراءة.

النفث هو النفخ مع ريق خفيف، وأما التفل فمعه ريق كثير، وأما النفخ فليس معه ريق.

إذن النفث يكون بينهما، يكون نفخا معه ريق خفيف.

هنا إشكال، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ، لأن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب.

أجيب عنه بعدة أجوبة منها أن قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثم نفث فيهما فقرأ يعني لما أراد أن ينفث فيهما قرأ، وهذا له نظائر ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ يعني إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ.

إذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: بسم الله.. إلى آخره، يعني إذا أراد، وبهذا يزول الإشكال وتستقيم الأحاديث كلها أن النفث يكون بعد القراءة.

وأجيب عنها أيضا بأن الفاء هنا في قولها فقرأ بمعنى الواو يعني وقرأ وإذا كانت بمعنى الواو فإن لا تفيد ترتيبا فلا يكون فيه إشكال.

في هذا الحديث فضيلة أن تُقرأ هذه السور الثلاث وأن ينفث المرء في كفيه ثم يمسح بهما وجهه ورأسه وما أمكن من جسده، ما أقبل من جسده، فيحصل له بذلك إن شاء الله الحفظ والبركة بكلام الله عَزَّوَجَلَّ.

ذكر أيضا من أذكار النوم

أنه يأتي بآية الكرسي، الحديث المشهور حديث تعليم الشيطان لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه السورة وقال: (إنك إذا أويت إلى فراشك فقرأت آية الكرسي حتى تختم الآية فلا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح).

هـذا الحديـث أخرجه البخـاري تعليقـا بصيغة الجـزم، فقـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال عثمـان بـن الهيثـم أبو عمـرو: حدثنا عـوف عن محمد بن سـيرين عن أبـي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فذكره.

وذكره البخـاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما وقفت عليه في ثلاثة مواضع، كلها يذكر فيها هذا الحديث تعليقا، وقد وصله ابن خزيمة في صحيحه وغيره أيضا، قال: حدّثنا هلال بن بشـر الليثـي، حدَّثنا عثمان بن الهيثم، عثمان بن الهيثـم هو الذي قال البخاري: قال عثمـان بن الهيثـم، والحديث صحيح لا إشـكال في صحته، في آخـر الحديث قال: «**صدقك وهو كذوب**»

هـذا فيه أن الـكاذب أو من وُصف بالكذب قد يصـدق أحيانا، ولكن ليس كل أحـد قـد يعرف هل صدق أو لم يصـدق هنا في هذا الحديث جاءنـا الخبر من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الشيطان قد صدق فيما أخبر به أبا هريرة -رضي الله تعالى عنه-.

ثم ذكر حديث من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه.

ما المراد بقوله كفتاه؟ هذا فيه أقوال، قيل: كفتاه من قيام الليل، وقيل كفتاه من أذى الشـياطين، وقيل كفتاه من كل شر، واللفظ يحتمل كل هذه المعاني، لكن على المعنـى بأنها تكفيه مـن قيام الليل هذا لا يعني أن الإنسـان يتكِل علـى قراءة هاتين الآيتيـن ويترك قيام الليل، بل المؤمـن ينبغي له أن يجتهد في أبواب الخير كلها، يأتي بهاتين الآيتين ويقوم الليل بحسب ما يُيسِّر الله عَزَّوَجَلَّ له.

وفي قوله في هذا الحديث «**في ليلة**» ليس فيه تحديد أي وقت من الليلة، أول الليلة، وسـط الليلة، آخر الليلة، فيشمل جميع الليل، فمتى ما قالها فإنها تكفيه، ولا شك أن الإتيان بها في أول الليل أولى خاصة إذا قلنا إن فيها حماية له من الشرور والشياطين.

هاتان الآيتان الشـيخ أوردهما في أي فصل؟ في أذكار النوم، بينما الحديث قال:

في ليلة، فيصدق على من أتى بها بعد غروب الشمس؛ لأن الليل الشرعي متى يبدأ؟ يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق.

إذن يمكن أن تدخل في أذكار النوم لو ذكرها عند النوم في الليل، لا إشكال، لكن ليست خاصة عند النوم، الحكم فيها أعم، فيذكرها في أي وقت من الليل فيحصل له الفضل المرتب عليها.

ذكر بعد ذلك حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة**» هذا فيه أنه يستحب أن يتوضأ قبيل النوم

قال «**ثم اضطجع على شقك الأيمن**» هذا فيه فضيلة الاضطجاع على الشق الأيمن، ثم يأتي بهذا الذكر «**اللهم أسلمت نفسي إليك..**» إلى آخره.

اللهم أسلمت نفسي إليك، المعنى: أي استسلمت وصيرت نفسي مُنقادةً لك طائعةً.

وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيك أي قَصَدتُكَ بِعِبَادَتِي وَإِخْلَاصِي وَتُوحِيدِي.

وَفَوَضتُ أَمْرِي إِلَيكِ أي: تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِي.

وَأَلْجَأْتُ ظهري إِلَيكِ أي: اعتمدت في أمري عليك، قالوا: كما يعتمد الرجل بظهره لما يستند إليه.

رغبة ورهبة إليك يعني طمعا في ثوابك وخوفا من عقابك.

قال «**إذا متّ متّ على الفطرة**» يعني على الإسلام.

لما أتى البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالذكر كما تقدم معنا أنه قال ورسولك الذي أرسلت فبيّن له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يأتي به على وجهه «**ونبيك الذي أرسلت**» ما سبب الإنكار؟ تقدم معنا أن سبب الإنكار أن الأذكار الواردة يُؤتى بها بألفاظها لا يُغيّر فيها، هذا توجيه.

أو السبب الثاني الذي ذكر أن قول البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**ورسولك الذي أرسلت**» لا يختص بمحمد ﷺ فإنه يدخل فيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أليس جبريل رسولا؟ ورسولك الذي أرسلت يشمل جبريل، فلا يختص بمحمد، فهذا يختلف فيه المعنى، فقال «**ونبيك الذي أرسلت**» أيضا في قوله «**ونبيك الذي أرسلت**» جمع له بين النبوة والرسالة، وهذا لا شك أنه أكمل من أن يكون له وصف الرسالة فقط.

أيضا من أذكار النوم «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء..**» إلى آخره.

قوله «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء**» هذا من باب التوسل بصفات الله عَزَّوَجَلَّ بين يدي الدعاء.

«**فالق الحَب والنوى**» الحَب يعني البذر الذي يوضع في الأرض فيسقى فينبت، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يفلقه، والنوى يعني نواة التمر فإنها إذا وضعت في الأرض وسقيت تنفلق بأمر الله عَزَّوَجَلَّ ويخرج منها أصل النخلة.

قال »منزل التوراة والإنجيل والقرآن» هذا فيه إثبات إنزال هذه الكتب السماوية، وهذه الجملة مع الجملة التي قبلها في قوله فالق الحب والنوى هذا توسل بأفعال الله عَزَّوَجَلَّ.

«**أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته**» أي ألتجئ بك أو أعتصم بك من شر كل مخلوق أنت آخذ بناصيته، لأن من أخذ بناصية شيء فهو المتصرف في هذا الشيء.

«**أنت الأول فليس قبلك شيء**»

من أسمائه جَلَّ وَعَلَا الأول الذي ليس قبله شيء وكل المخلوقات هي بعد الله

جل جلاله وتقدست أسماؤه؛ لأنها عدم، فهو جَلَّوَعَلَا الذي خلقها وأوجدها بعد أن لم تكن.

«وأنت الآخر فليس بعدك شيء»

هـذا أيضا من أسـماء الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الآخر الذي ليس بعده شـيء فهو الباقي جَلَّوَعَلَا الذي يدوم، وغيره لا يدوم.

«وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»

أيضا من أسمائه جَلَّوَعَلَا الظاهر الذي ليس فوقه شيء، فهو العالي جَلَّوَعَلَا على خلقه، فله علو القدر وعلو القهر وعلو الذات.

«وأنت الباطن فليس دونك شيء»

مـن أسـمائه جَلَّوَعَلَا الباطن الـذي ليس دونه شـيء، أي أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عليمٌ خبيـر مطلـعٌ على كل شـيء لا تخفى عليـه خافية في الأرض ولا في السـماء، فمع كونه جَلَّوَعَلَا عاليـًا على خلقه مسـتويا على عرشه سبحانه، إلا أنه مطلعٌ عليمٌ خبيرٌ بأحوال خلقه.

ثـم ذكر أيضـًا مـن أذكار النوم حديث حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليُمنى تحت خده الأيمن، هذا فيه استحباب أن يضع يده اليُمنـى تحت خده الأيمن عند النوم ويقول «**اللهـم قِنِي عذابك يوما تبعث عبادك**» يقول ذلك ثلاث مرات.

أيضـا مـن الأذكار أنه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان إذا أوى إلى فراشـه قـال «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا ولا مؤوي**» هذا الحمد لله عَزَّوَجَلَّ على هذه النعم نعمة الطعام ونعمة الشراب ونعمة الكفاية ونعمة المأوى.

فإن الإنسان إذا نظر إلى مصيبة غيره عرف قدر نعمة الله عليه، فكم من الناس من ليس لهم مأوى وليس لهم من يكفيهم، فحينئذ يعترف لله عَزَّوَجَلَّ بهذه النعمة.

من أذكار النوم أيضا أن يقول «**اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها وإن أمتّها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**».

والمعنى واضح هنا.

في قوله «**إن أحييتها فاحفظها**» الدعاء بالحفظ هنا مناسب لأنه إذا أحياه الله عَزَّوَجَلَّ بعد هذه النومة فإنه معرض للأخطار والشرور في دينه وفي دنياه فيسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظه، وأما إذا أماته، إذا قبض روحه في هذا النوم فالمناسب أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ المغفرة والرحمة.

ثم قال «**اللهم اني اسألك العافية**» ودائما تستحضر أن سؤال الله عَزَّوَجَلَّ العافية عام في كل شيء تدخله العافية، فأعظم العافية هي في الدين، والعافية في البدن، والعافية في البلد من الفتن، والعافية في الأهل، والعافية في المال، فالحديث في هذا عام.

أيضا من أذكار النوم أنه «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه**»

داخلة الإزار يعني طرفه الذي يلي الجسد فينفض فراشه لأن الفراش ربما يكون دخل فيه شيء من الهوام والحشرات وما يؤذيه، أيضا ينفضه ربما كان فيه غبار ونحو ذلك، لأجل النظافة، وذكر بعض أهل العلم أن هذا لا يختص بداخلة إزاره وإنما ينفضه بأي شيء لأن نفضه بأي شيء يحصل به المقصود، قال «**فإنه لا يدري ما خلفه عليه**» يعني لا يدري بعدما قام من هذا الفراش ما الذي دخل فيه من المؤذيات والهوام ونحوها.

أيضا من أذكار النوم حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما علمهم النبي ﷺ أن يسبحا ثلاثا وثلاثين وأن يحمدا ثلاثا وثلاثين وأن يكبرا أربعا وثلاثين وقال «**إن هذا الذكر هو خير لكما من خادم**»

الحديث متفق عليه، لكن جاء في رواية عند مسلم إذا «**أخذتما مضجعكما من الليل**» فهذا فيه تقييد هذا الذكر بنوم الليل، فمن نام في النهار كنوم القيلولة فإنه لا يشرع له هذا الذكر، وجاء عند مسلم أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما تركته يعني هذا الذكر منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال ولا ليلة صفين، يعني الحرب التي وقعت بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين أهل الشام، المعروفة، فهذا فيه أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يلتزمون ويمتثلون العمل بما يرشدهم إليه النبي ﷺ حتى في أوقات الشدة لم يغفل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الإتيان بهذا الذكر.

قوله «**فهو خير لكما من خادم**» ما وجه الخيرية هنا؟ يقال: لأن نفع الذكر أُخروي ونفع الخادم دنيوي.

وأيضا ذكروا أن هذا الذكر مما يعين الإنسان على قضاء حوائجه والقيام بأعماله إما بأن يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ قوة في بدنه والذكر يعطي المرء قوة في البدن كما ذكر العلماء ودليلهم هذا الحديث، أو أن الله عَزَّوَجَلَّ يسهل عليه أموره فيقضي هذه الأمور بأيسر ما يكون.

لا يخفى عليكم، الآن بعض الأشغال تتعسر على المرء، يجلس ربما يوما كاملا ما أنجز شيئا، وأحيانا تتيسر الأمور في لحظات، من الذي ييسر الأمور؟ هو الله جَلَّ وَعَلَا، فمن أسباب ذلك أن يأتي المرء بهذا الذكر عند النوم.

أيضا من أذكار النوم قول النبي ﷺ «**من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله..**» إلى آخره.

التعار فسّرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: أي استيقظ.

وبعض أهل العلم كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال: الأكثر أن التعار اليقظة مع صوت، وإلا فالتفسير الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكره ابن الجوزي في كشف المشكل، قال: من تعار من الليل يعني استيقظ. يعني إذا استيقظ الإنسان من نومه فإنه يأتي بهذا الذكر الوارد فيترتب على ذلك أنه إذا سأل الله عَزَّوَجَلَّ ودعا ربه جَلَّوَعَلَا أن الله عَزَّوَجَلَّ يستجيب له، فإذا صلى قُبلت صلاته.

نعم

***

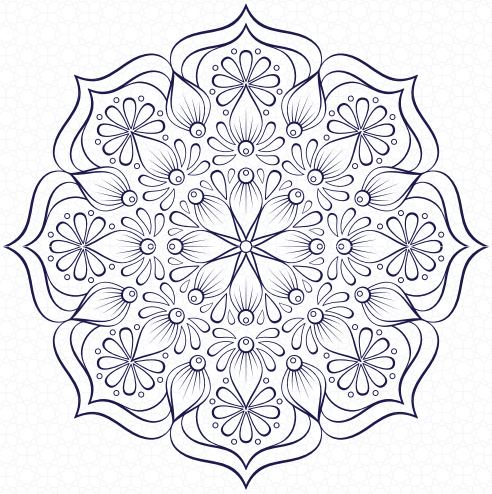

فصلٌ في الأذكار والأدعية المشروعة في ابتداء الشراب والأكل والفراغ منهما.

عن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك» متفق عليه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره» أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم.

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة بإسناد حسن.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفيٍ ولا موَدّعٍ ولا مستغنى عنه ربنا» رواه البخاري في صحيحه.

هذا الفصل عقده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الأذكار التي تُشرع عند الشرب والطعام وعند الفراغ منهما.

الحديث الأول حديث عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال له لما رأى يده تطيش في الصحفة قال «**يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**»

قوله سم الله يعني يقول بسم الله، وهذا جاء صريحا عند الطبراني في المعجم الكبير أنه قال له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**يا غلام إذا أكلت فقل بسم الله**»

فمن آداب الأكل والشرب أن يقول الإنسان عندما يريد أن يضع اللقمة في فمه، أن يقول بسم الله وإذا أراد أن يضع الإناء في فمه ليشرب يقول بسم الله.

والتسمية تكون في كل ما يأكله المرء أو يشربه، حتى لو أنه شرب دواءً يقول بسم الله؛ لما في ذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ من الاستعانة والتبرك باسمه سبحانه.

واختلف الفقهاء هل التسمية واجبة أو مستحبة؟

والأقرب -والله أعلم- القول بالوجوب، لوجود الأمر بالتسمية، كما في هذا الحديث «**يا غلام سم الله**» وفي الرواية الأخرى قال «**قل بسم الله**» والأصل في الأمر الوجوب، وهذا اختيار العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويدل له أيضا ما تقدم من أن المرء إذا دخل بيته فذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ قال الشيطان لا مبيت لكم وإذا ذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ عند العَشاء قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء فإنه إذا لم يذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ على طعامه وشرابه شركه الشيطان في طعامه وشرابه.

ولأدلة أخرى تدل على ذلك.

ذكر أيضًا قول النبي ﷺ «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره**» وفي بعض الروايات «**في أوله وآخره**» هذا الحديث قال عنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد: حديث صحيح، وفيه الدلالة على أنه إذا نَسيَ التسمية في أول الأكل ثم ذكرها في أثناء الطعام فإنه يقول: بسم الله في أوله وآخره.

ذكر أيضا حديث «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»

الأكلة في هذا الحديث يعني المرة الواحدة من الأكل كالغداء أو العشاء، والذكر بعد الطعام والشراب جاء على عدة صفات، منها أن يقول: الحمد لله، كما في هذا الحديث.

وفيه فضيلة عظيمة أنك إذا قلت الحمد لله بعد طعام أو بعد شراب أن الله عَزَّوَجَلَّ يرضى عنك، ورضا الله عَزَّوَجَلَّ هو مقصود العبد، ماذا نريد في هذه الدنيا إلا أن يرضى الله عَزَّوَجَلَّ عنا؟

فبكلمة تقولها «**الحمد لله**» بعد طعام أو شراب يرضى الله جَلَّوَعَلَا عنك.

ورد أيضا من صفات الحمد ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقول «**الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة**» والفضل المرتب على ذلك قال «**غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

أيضا من صفات الحمد بعد الطعام أن يقول «**الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودَّع ولا مستغنى عنه ربنا**».

معنى غير مكفي: إذا كان المراد الله جَلَّوَعَلَا يعني أن الله عَزَّوَجَلَّ يطعِم ولا يطعَم، هذا معنى غير مكفي.

ولا مستغنى عنه، يعني أن العباد لا يستغنون عن ربهم جَلَّوَعَلَا.

وقيل في معنى غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه: يعني أننا لا نستغني عن الله عَزَّوَجَلَّ ولا أحد يكفينا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو الذي يرزقنا وهو الذي يعطينا.

وردت صفات أخرى في الحمد غير ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ .

نعم

***

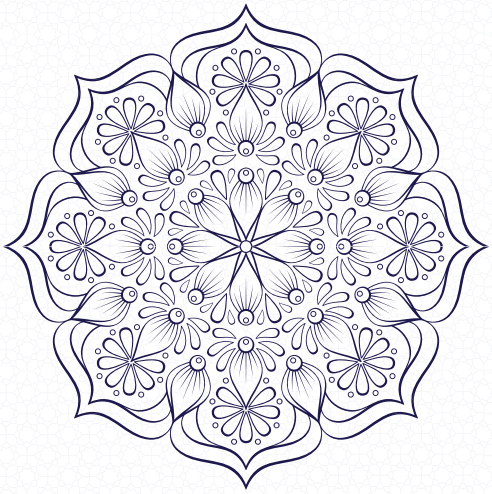

فصلٌ فيما يُشرع من الذكر والدعاء عند رؤية البلدة أو القفول منها.

عـن صهيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ لم يرَ قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها «اللهم رب السـماوات السـبع وما أظللن ورب الأرَضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شـرها وشر أهلها وشر ما فيها» رواه النسائي بإسناد حسن.

وعـن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال: أقبلنا مع النبي ﷺ حتى إذْ كنـا بظهر المدينة قال: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» رواه مسلم.

هـذا في الذكـر إذا رأى بلدة يريـد أن يدخلها، يعني إذا قدم في سـفره على بلد، فيسـن أن يـأتي بهـذا الذكر «**اللهم رب السـموات السـبع وما أظللـن..**» إلى آخره، والمعنى واضح.

في قوله: ورب الرياح وما ذرين ما ذرته الرياح يعني ما أطارته الرياح.

«**أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها**»

وأيضـا جاء في ذكر القفول والرجوع في السـفر أن يقـول «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» يكرر ذلك في الطريق إلى أن يصل، طبعا هذا يأتي به مع دعاء السـفر المعـروف، فإنـه إذا خـرج من بلده أتـى بدعاء السـفر، وإذا قفل راجعًـا أتى بدعاء السفر، ويزيد عليه «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»

نعم

***

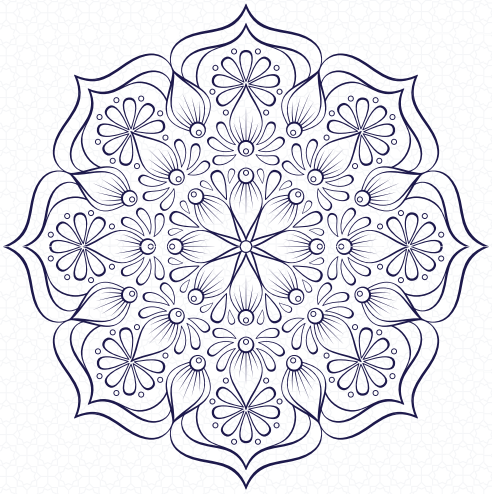

فصلٌ فيما يشرعُ من الذكر والدعاء عند الأذان وبعده.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» متفق عليه.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة» رواه البخاري وزاد البيهقي في آخره بإسناد حسن «إنك لا تخلف الميعاد»

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينًا غُفر له ذنبه» رواه مسلم.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر، ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله -من قلبه- دخل الجنة» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أَكُونَ أنا هو، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةَ» رواه مسلم في صحيحه.

هذا الفصل يتعلق بأذكار الأذان.

الحديث الأول فيه «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»

إجابة المؤذن مشروعة بإجماع أهل العلم، ولكنهم اختلفوا هل يجب أن يجيب المؤذن، أو أنه يستحب؟ فالجمهور على أنه يستحب ولا يجب، والصارف عندهم للأمر، لأن الحديث الذي معنا قال «**فقولوا مثل ما يقول المؤذن**» هذا دليل من قال بالوجوب، فمن يقول بالاستحباب يحتاجُ إلى صارف، قالوا: الصارف ما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول الله أكبر الله أكبر يعني يؤذّن فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**على الفطرة**» ثم لما قال «**أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله**» قال النبي ﷺ «**خرجت من النار**» فدل هذا الحديث على أنه لم يُجب المؤذن بنفس الجمل التي قالها، قالوا فدلّ هذا على أنه لا يجب.

في قوله هنا في هذا الحديث «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**» قوله: فقولوا، هذا فيه أنّ من يردد مع المؤذن يأتي بالجمل بعد فراغه من الجملة لأن الفاء تفيد الترتيب مع التعقيب، وظاهر هذا الحديث أيضا أنه يجيب المؤذن في جميع جمل الأذان كما قال حتى في قوله حي على الصلاة حي على الفلاح، ولكن جاء ما يخص هاتين الجملتين في حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي مر معنا «**أنه إذا قال حي على الصلاة يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا قال حيّ على الفلاح يقول لا حول ولا قوة إلا بالله**»

أيضًا إذا قال في صلاة الفجر الصلاة خير من النوم ماذا يقول من يسمعه؟ الصلاة خير من النوم.

خلافًا لما ذكر بعض الفقهاء من أنه يقول: صدقت وبرِرت، فهذا يحتاج إلى دليل.

أيضًا من الأحاديث التي ذكرها الشيخ في هذا الفصل «**أن من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة..**»

من قال حين يسمع النداء، المراد بعد فراغ الأذان والصلاة على النبي ﷺ كما سيأتي في حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللهم رب هذه الدعوة التامة يعني دعوة الأذان، سميت تامة لكمالها ولما اشتملت عليه من توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

والصلاة القائمة يعني الصلاة التي سوف تقام وتؤدى.

آتِ محمداً: أعطِ محمداً الوسيلة، وهي أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ.

آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، قيل الفضيلة هي الرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى للنبي ﷺ، أو أنه تفسيرٌ للوسيلة قال «**وابعثه مقامًا محموداً الذي وعدته**» فُسِّرَ هذا المقام المحمود بِالشَّفاعَةَ العُظْمَى في موقف القيامة.

جاءت زيادة ذكرها الشيخ، وهي: «**إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادِ**» هذه الزيادة ذكرها البيهقي في السنن الكبرى وأيضا في السنن الصغرى وفي الدعوات الكبير، وحكم عليها سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بأن إسنادها حسن جيد كما في تعليقه على البخاري، لكن ذهب جمع من أهل العلم إلى أنها زيادة شاذة، لمخالفة الراوي الجماعة الذين رووا هذا الحديث عن علي بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ وممن حكم عليها بالشذوذ العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في إرواء الغليل وغيره أيضا من أهل العلم.

أيضا مما ذكر مما يتعلق بالأذان «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له ذنبه**» أخرجه مسلم.

هذا الذكر متى يأتي به؟ جاء في بعض الروايات الدالة على أنه يأتي به عند تشهد المؤذن، فإذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله مرتين وأشهد أن محمد رسول الله

مرتين يقول من يجيبه: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، ثم يتابع معه بقية ألفاظ الأذان، وهذا دلت عليه، بعض الروايات كما في مستخرج أبي عوانة وغيره وذهب إلى هذا جمع من شراح هذا الحديث.

أيضا مما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الفصل حديث عمر -رضي الله تعالى عنه- في الترديد مع المؤذن جملة جملة، والكلام فيه واضح، لكن في آخره قال: من قلبه، يعني أن الترديد مع المؤذن ليس باللفظ فقط كما يحصل من كثير منا، بل يستحضر المعاني إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق إلا الله.

يستحضر هذه المعاني لأن دعوة الأذان دعوة التوحيد فإذا قالها الإنسان بلسانه و بقلبه فالثواب قال: «**دخل الجنة**».

ثم ذكر حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ**» هذا فيه استحباب الصلاة على النبي ﷺ بعد الفراغ من الأذان «**فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً**»

وعرفنا معنى الصلاة أي الثناء، يعني أن الله عَزَّوَجَلَّ يثني عليك أيها العبد عشر مرات في الملأ الأعلى إذا قلت اللهم صلِّ على محمد.

قال: «**ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو**» قد تقدمت معنا.

«**من سأل الله لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**» هذه فضيلة، الإتيان بهذا الذكر.

نعم

***

فصلٌ في مشروعية السلام بدءًا وإجابةً، وتشميت العاطس إذا حمد الله، وعيادة المريض.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً سأل النبي ﷺ أيُّ الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «خمسٌ تجبُ للمسلم على أخيه، ردُّ السلام وتشميتُ العاطس وإجابةُ الدعوة وعيادةُ المريض واتباعُ الجنائز» متفق عليه.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «حقُّ المسلم على المسلم ست إذا لقيتَه فسلم عليه وإذا دعاكَ فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليردّه ما استطاع، فإذا قال ها ضحك منه الشيطان» متفق عليه.

وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم» رواه البخاري.

وقال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمّتوه» رواه مسلم.

هذا آخر فصول هذه الرسالة المباركة فيما يتعلق بمشروعية السلام ابتداءً وإجابةً وتشميت العاطس إذا حمِد الله.

ذكر حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ يعني أيّ خصال الإسلام خير؟ فقال «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

هذا فيه فضيلة إطعام الطعام، وفيه أيضا فضيلة السلام على من عرف ومن لم يعرف، وذلك أن بعض الناس لا يسلّمون إلا على من يعرفون، وهذا -كما جاء في بعض الأحاديث- من أشراط الساعة الصغرى، أن يكون السلام على من يعرف المرء فقط.

والمشروع أن يكون السلام على من يعرف ومن لا يعرف، وهذا هو معنى إفشاء السلام، كما في الحديث الآخر لما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» أفشوا يعني انشروه، تسلم على كل من لقيت، يعني ممن يسلّم عليه أو يشرع السلام عليه، وإلا في المعلوم أنه يستثنى من ذلك أن الكافر لا يبتدأ بالسلام، المرأة فيها تفصيل عند أهل العلم في السلام عليها، المرأة الشابة، المرأة الكبيرة، ونحو ذلك.

المقصود أنه يجتهد في إفشاء السلام بمعنى أن يسلم على كل من لقيه من المسلمين.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**خمس تجب للمسلم على أخيه**«

ذكر هذه الخمس وهي مذكورة في الحديث الذي بعده، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه..»

قوله ست هذا ليس فيه الحصر وإنما هو كنظائره في الأحاديث، يُؤتَى بعدد لأجل تقريب العلم وتيسير العلم وإلا فمن المعلوم أن هناك حقوقا للمسلم على أخيه لم تُذكر، كحق الجوار مثلا هو حق ثابت.

قال: «**إذا لقيته فسلم عليه**» هذا هو الحق الأول من حقوق المسلم على أخيه المسلم، يقول له: السلام عليكم، هذا اللفظ هو أقل ما يمكن أن يسلم به والأكمل منه أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله، والأكمل أن يزيد وبركاته؛ ليحصل له بذلك ثلاثون حسنة، كما جاء في الحديث.

أما إذا قال السلام عليكم فليس له إلا عشر حسنات.

ما معنى إذا قلت لأخيك المسلم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

إذا قلت السلام عليكم: تدعو له بالسلامة من كل آفة.

السلام عليكم ورحمة الله: تدعو له بالرحمة أن يرحمه الله عَزَّوَجَلَّ.

وبركاته: أن تحصل له البركة، والبركة ما هي؟ هي الخير الكثير الدائم الذي لا يزول.

لاحظت الآن المعنى عظيم؟

إذا قلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تدعو لأخيك بالسلامة من كل آفة

ومن كل عيب ومن كل نقص وتدعو له بالرحمة، أن الله عَزَّوَجَلَّ يرحمه، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يُفيض عليه من الخير الكثير الدائم الذي لا يزول.

كثير منا يغفل عن هذا، وإذا قال وعليكم السلام أجاب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيه نفس المعنى.

طيب ابتداء السلام ما حكمه؟ سنة، ورده واجب.

لكن إذا كان المسلِّم جماعة فيكفي منهم واحد، والأولى أن يسلم الجميع.

وإذا كان المسلَّم عليه جماعة فيكفي أن يجيب واحد في حصول فرض الكفاية، ولكن الأولى أن يسلّم الجميع ليحصل لهم الأجر.

الحق الثاني قال «**إذا دعاك فأجبه**» يعني إذا دعاك إلى طعام ونحوه فإنه من حقه عليك أن تجيب.

لكن الإجابة هنا على الاستحباب، إلا في دعوة العرس فقد جاء ما يدل على الوجوب في قوله ﷺ «**إذا دُعي أحدكم إلى وليمة عرس فليجب**» أخرجه مسلم.

طبعا الوجوب هنا مقيد بتوفر شروط إجابة الدعوة أما إذا وجد فيها منكر مثلا أو كان يقتضي الأمر سفرا إلى بلد آخر فيسقط الوجوب عنه، يعني بضوابط ذكرها الفقهاء -رحمهم الله-، وهي ضوابط وجوب إجابة الدعوة.

الثالث من الحقوق قال: «**إذا استنصحك فانصحه**»

إذا طلب منك النصيحة، والنصيحة هي إرادة الخير للمنصوح، بأن تحب له ما تحب لنفسك من أمور الدين والدنيا.

الرابع من الحقوق «**إذا عطس فحمد الله فشمّته**»، يعني تقول له: يرحمك الله.

الخامس «**إذا مرض فعده**» والمراد بالمرض الذي يعاد فيه المريض ما يقعده

عـن الخروج من البيت، كأن يقعده في مستشـفى أو في بيته، أما إذا كان مريضـاً لكن يحضر المسجد ويخرج فهذا من المعلوم أنه لا يحتاج إلى عيادة.

السادس «**إذا مات فاتبعه**»

هذا من حقوق المسـلم على أخيه المسـلم، وهو من فـروض الكفايات، وفيه فضل عظيم، وهو أن من شـهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شـهدها حتى تدفن فله قيراطان.

ذكر أيضا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب**»

العطـاس محبـوب إلـى الله عَزَّوَجَلَّ لأنه يـدل على النشـاط وعلى الخفـة وأما التثاؤب فهو مكروه إلى الله عَزَّوَجَلَّ لأنه يدل غالبا على الكسل وعلى التثاقل.

قال «**فإذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل مسـلم سـمعه أن يشمته**» هذا دليـل لمن يقول إن كل من سـمع العاكـس يقول الحمد لله فيجب عليه أن يشـمته، يعني يجب عليه وجوبا عينيا، وهذا اختيار ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ احتجاجا بهذا الحديث وأما جماهير الفقهاء فيقولون إنه على الكفاية، فإذا شـمته واحد فإنه يكفي، حصل بذلك فرض الكفاية وصار مستحبا في حق البقية.

لكن ظاهر هذا الحديث الوجوب لكل من سمعه.

قال بعد ذلك في هذا الحديث «**وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليرده مـا اسـتطاع**» يعني أنه يُؤمر بـأن يرد التشـاؤب بقدر الإمـكان وأن يكظم، فإن غلبـه التثاؤب وضع يده على فمه لئلا يبلغ منه الشـيطان مراده في ذلك؛ ولأن فتح الفم من غير وضع اليد يكون فيه تشـويه لصورة الإنسـان ويؤدي إلى أن يضحك منه الشيطان.

ذكر أيضا حديث «**التثاؤب من الشيطان فإذا تثاؤب أحدكم فليمسك ما استطاع**»

هذا على ما تقدم.

ثم ذكر حديث «**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل**»

وذكر أيضا حديث «**إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم**»

معنى يهديكم الله: هذا يشمل هداية الدلالة التي هي العلم النافع وهداية التوفيق التي هي العمل الصالح.

فيكون المعنى يهديكم الله أي يهديكم الله لعلمٍ نافع ولعملٍ الصالح.

ويصلح بالكم: أي يصلح شأنكم ويصلح أموركم، وهذا يعُمّ الشأن والأمر في الدين والدنيا.

ذكر آخر حديث «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه فإن لم يحمد الله فلا تشمّتوه**» فهذا فيها أن الإنسان ما يستعجل كما يحصل من بعض الناس إذا سمع عاطسا قال يرحمك الله، نقول انتظر حتى تسمعه يقول الحمد لله فإنه إذا لم يحمد الله فلا تشمته؛ لأن التشميت دعاء وهذا ما دام أنه ترك حمد الله عَزَّوَجَلَّ فهذا يستحق أن يعاقب بأن لا يدعى له، اللهم إلا أن يكون جاهلا يحتاج أن يعلّم فليعلّم أنه بعد العطاس يقول الحمد لله ثم يشمت بعد ذلك.

نعم

***

فصلٌ: ولنختم هذه الرسالة بما ورد في النصيحة لمسيس الحاجة إلى ذلك.

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم في صحيحه.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه.

وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم في صحيحه.

وهذا آخر ما تيسر جمعه وأسأل الله أن ينفع به عباده إنه سميعٌ قريب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نعم ختم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة المباركة بهذا الفصل المتعلق بالنصيحة، قال لمسيس الحاجة إلى ذلك، ولا شك أن المسلم يحتاج إلى أن ينصحه إخوانه.

فلا يخلو الواحد منا من قصور ونقص وزلة تحصل منه فينبغي لنا أن نتناصح، وقد تقدم معنا أن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جملة من الأحاديث الدالة على هذا المعنى أولها حديث الدين النصيحة وهذا قد مر معكم في الأحاديث الأربعين وعرفتم شرحه ثم ذكر حديث جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أنه بايع النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**»

وهـذا ظاهر في الدلالة على النصيحة، وقد ذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة عن جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذكر في شرح مسلم يقول: إن جريرا اشترى فرسا من رجل بثلاثمائة درهم، يعني عرضه الرجل بثلاثمائة درهم، فلما نظر إليه جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال لا، هذا يسوى أربعمائة، ثم قال لا، بل يسـوى خمسـمائة فلم يزل يزيد حتى اشـتراه منه بثمانمائة درهم، وقال إني بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم.

فهذا من النصيحة.

أيضا ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حديث أنس «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»

وعلاقتـه بالنصيحة أن من أحب لأخيه ما يحب لنفسـه فإنـه ينصحه؛ لأنه يريد له الخير.

ذكر أيضا حديث «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»

إذا نصحت أخاك المسـلم على أمر من الخير وعمـل بهذا الخير فيكون الأجر لك أيضا من غير أن ينقص من أجره شيء.

بهذا ختم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لشيخنا عبد العزيز ابن باز وأن يرفع درجته وأن يرحمه برحمته الواسـعة لقاء ما نصح ولقاء ما علّم، وأسـأله جَلَّوَعَلَا أن يوفقنا جميعا للعلم النافـع والعمل الصالـح، وأن يجعلنا ممن يتبع ما تعلمناه في هذه الرسـالة المباركة مـن أذكار وأدعيـة أن نُتبع ذلك بالعمل فإن الإنسـان إذا عمل بالعلـم ثبت في قلبه، وهـذه أمـورٌ نحتاجها في اليـوم والليلة، يحتاجهـا طالب العلم ويحتـاج غير طالب العلم، الرجل والمرأة، فحريٌّ بنا جميعـًا ما علِمناه في هذه الرسالة أن يكون له واقعٌ عملي في حياتنا، نتواصى على هذا ونتذاكر على هذا فإن في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الفضائل العظيمة التي مرت معنا.

أسـأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لـي ولكـم التوفيق والسّـداد وأشـكرُ الله عَزَّوَجَلَّ على ما يسّـرَ من هـذه المجالس العلمية المباركة وأشـكرُ القائمين علـى إقامة هذه الدورة وأسـأل الله جَلَّوَعَلَا لهـم التوفيق والقبـول، وأن يُكلِّل مسـاعيهم بالنجاح والفلاح، وأسـأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُلهِمنا رشدنا وأن يغفر ذنوبنا وأن يعفو عن زللنا وتقصيرنا وأن يتوفانا مسلمين وأن يُلحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لوالدينا ومشايخنا وولاة أمرنا ومن له حق علينا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

***